لطيف فاتح فرج

ترجمة: يوسف زەنگەنە

من نقرة السلمان الى الموت



من نقرة السلمان إلى الموت

لطيف فاتح فرج

ترجمة: يوسف زەنگەنە

٢٠٠٧

اسم الكتاب: من نقرة السلمان إلى الموت

اسم المؤلف: لطيف فاتح فرج

اسم المترجم: يوسف زەنگەنە

تصميم: جمال حسين

الطبعة الثانية: كوردستان - سليمانية

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

عدد النسخ: ٥٠٠

رقم الايداع: ٤٧١ لسنة ٢٠٠٧

سعر النسخة: ١٠٠٠ دينار

www.sardamco.com

من نقرة السلمان إلى الموت

لطيف فاتح فرج

ترجمة: يوسف زەنگەنە

سلسلة كتب سردم العربي
العدد ١٠

المشرف العام على السلسلة
نوزاد احمد اسود

إهداء المترجم

- إلى كل عربي يتفهم القضية الكردية.
- إلى ابنائي سمير، امير، هيمن.
- الى زوجتي التي وقفت في جانبي عند أحلك الظروف.

وأخيراً إلى كل من يكتب حرفا للمؤنفلين.

تمهيد

لا أدري مـــن أيـــن ابدأ؟ وكيف ابدأ؟ حيث هذه الأرض المدودة ليس فيها مكان يقف عليه إنســان. لان كل شـــبر من تراب هذا الوطن يحتوي رفاة إنسان من هذا البلد أعدم وقتل ودفن مـــن قبل صدام وجلاوزتـــه، فقصص المقابر الجماعية في العـــراق تذكرني بـرباعيات (خيام) الشعرية، حيث يقول (كل المزهريات مصنوعة من أشلاء وعظام البشر).

الحديـــث عن صدام وحزبه(حزب البعث) وشـــعارات وهتافات البعث. وعن حروب صدام الخارجية والداخلية ضد شـــعبه، وحول العالـــم المحيط به وعن المجازر والمقابر الجماعية.... الخ

كل هذا يحتاج إلى وقت طويل وهنا لا أريد الخوض في تفاصيل هذه المواضيع.

ويجب أن لا ننســى أن الذي وراء صدام وجرائمه هو حزب البعث العربي الاشتراكي ووراء هـــذا الحزب المئات بل الألوف من المجرمين الصغار والكبار ســاهم كل واحد من هؤلاء بشكل أو بآخر في المجازر والمقابر الجماعية.

في الحقيقة يجب أن نعرف بأن صدام أرهبنا. وغُدا صدام هنالك العديد من الأســماء التي ترهبنا وتخفينا. فالعراقيون يتخوفون منها على مر المئات من السنين القادمة على أن هؤلاء بشر مفترسون وهؤلاء سيبقون في ذاكرة العراقيين كوحوش زمانهم وسيدخلون ســجلات التأريخ السوداء بسبب إجرامهم الوحشي.. ونســتطيع لمئات السنين القادمة أن نضرب الأمثال لأجيالنا على وحشية (علي حسن المجيد) الملقب بـ(علي الكيمياوي).

لطيف فاتح فرج

لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية
للضحايا الكرد

بعد سـقوط نظام البعث مباشـرة بادرت حكومة اقليم كردستان بتشكيل لجنتين للبحث والعثور على المقابر الجماعية والتعرف اليها وتم تكليفي مع اثنين من أصدقائي بالبحث في الجنوب.

وبعد جلسـة أو جلسـتين مع الدكتور (برهم احمد صالح) والأخ (صلاح رشـيد) انطلقنا نحو الجنوب.

وبحكم عملي كصحفي اسـعدت جدا بهذا الشـرف كي أستطيع في المستقبل تدوين الوثائـق وإلتقاط الصور وتقديمها للقراء، هذا مـن جهة. ولكني تأثرت وحزنت كثيراً في نفـس الوقت لأننا نبحث عن رفـاة المؤنفلين الذين مازالت عوائلهم تنتظر عودتهم بشـوق.. فإذا عدنا ماذا نقول لأمهات المؤنفلين؟ نقول هذا رفاة وعظام أبنائكن؟ كيف نسـتطيع أن نسـلب حق الإنتظار منهن؟ ونقول لهن لا تنتظرن وعلى طول السـنوات الماضية لم تستطع أية جهة ان تقول لهن ذلك صراحة.

كل هذه الجروح والآلام عاشت معي طول رحلتي وقد عشت قبل هذا عشر سنوات بين ظهراني عوائل المؤنفلين. وأطلعت عن كثب على معاناتهم في الوقت الذي كنت فيه أسـتطيع العيش في مدينة السليمانية وأمارس مهامي الصحفية.. وكم من مرة دعيت إلى ذلـك ولكني أخترت العيش مع هذه العوائل.. فتعايشـت مـع جروحهم وآلامهم في الإنتظار وأخيراً لم يجنوا من الإنتظار سوى الدموع.

تألفت لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية من (منصور محمد كريم) المدير العام في وزارة حقوق الإنسـان والمرحلـين والمؤنفلين و (آريان محمد علي) الحقوقي في الوزارة و (صمد زهنگەنه) من مكتب حقوق الإنسان وأنا كصحفي.

بدأت رحلتنا في نهاية شهر آيار، وقبلها سافرت مرتين إلى بغداد بعد سقوط(صدام).

الأولى كانت في (٢٠٠٣/٤/١٧) أي بعد ثمانية أيام من سقوط الصنم وكانت الغاية من الرحلة مشاهدة آثار الحرب الأخيرة وما سببته من دمار على العراق وكرحلة صحفية.

وفي ذلك قد اكون اول صحفي زرت بغداد من اقليم كردستان.

رأيـت بغداد وكأنها معسـكر كبير مملوء بالاعتدة والأسـلحة والمدرعات والدبابات، تجد هذه الأشـياء في كل أزقة بغداد تقريباً.. والفوضى تعم العاصمة.. وألسنة الدخان تتصاعد من الوزارات والمؤسسات وتتطاير في الهواء.

ورحلتي الثانية إلى بغداد كانت في نهاية ذلك الشـهر مع عدد من نسـاء المؤنفلين وعوائلهـم. وضمت هذه الزيارة، وفود السـليمانية وهولـير وجمجمال وكركوك وضم الجميـع عدد من الباصات التي تقل الواحدة منهـا (٤٨) فرداً وصلنا بغداد.. ونزلنا في سـاحة التحرير مع عدد هائل من نساء المؤنفلين.. اللواتي يردن إيصال صوتهن إلى كل الدنيا وفي تلك الأثناء كانت بغداد تعج بالقيادات والمسؤولين الكرد وهناك رؤساء كرد.. ولكن لم يسـتقبل أحد من أولئك. هؤلاء النساء اليائسات المتشحات بالسواد الكامل.. لم يلق أحد من المسؤولين التحية عليهن.. فصار (كارنر) كالطائر العنقاء ولم يستطع أحد الإمسـاك به فنسـاء الكرد كن يحملن صور ضحاياهن علـى صدورهن. وتعجن بالبكاء وتذرفن الدموع.. والكاميرات تصورهن من كل حدبٍ وصوب. والقيادة الكردية لم تكن هناك في الوقت الذي كان يدور كل أحاديثهم حول كوارث الأنفال وضحايا الجريمة.

قدمت فرقة (نالي) القادمة من (هولير) إسـتعراضين متواضعين وجمعية الفنون الجميلة التي جاءت من "جمجمال" كانت تأمل في القيام باستعراض ولكنها عندما رأت عدم حضور ولو مسـؤول كردي واحد من المتواجدين في بغداد وأحسـوا بغربة هناك، تخلـوا عن أداء العرض، وقام عدد من الفنانين بعـرض عدة لوحات فنية للصحفيين تتعلق بالكارثة..فكان هذا كل كلامنا في بغداد عن كارثة الأنفال.

وشاركنا في هذه الرحلة الطالب (دلير علي كرم) وكان يولي القضية أهتماماً بالغاً.. سـأتحدث عنه في الصفحـات القادمة "رحمه الله" كان حينها طالباً في الصف السـادس الإعدادي.

سافرت قبل هذه الرحلة إلى بغداد مرتين.. ولكن رحلتنا هذه كانت منظمة وفترتها أطول من الرحلتين اللتين سبقتا هذه الرحلة.

توجهت لجنتنا إلى بغداد على أمل الحصول على وثائق وشواهد وأوراق ومستمسكات تدين المجرمين ومن ثم السفر نحو الجنوب..

في أول لحظة دخولنا العاصمة (بغداد) قابلنا عضو مكتب سياسي وهو مسؤول كبير فنظر بإهمال إلى مهمتنا وقال لنا: (أنتم مجانين ليس إلا).

وحينما سمعنا هذه الكلمات من ذلك المسؤول ازددنا تصميماً وعزماً على أداء مهمتنا. ولم ننكسر أو نتخاذل عن أداء الواجب وقلنا لا نحتاج إلى مساعدة أحد، سوى أولئك الشهود الذين يعرفون أماكن المقابر الجماعية من سكان الجنوب.

ومن هنا أريد أن أذكر للتأريخ دور الدكتور (برهم صالح) و(صلاح رشيد) حيث قدما لنا كل أنواع العون... وكانا يقولان لنا (إن هؤلاء المؤنفلين هم عوائلنا وبما أنهم من كردستان فهم إخواننا).

وأنتم ترون الفرق بين هذين القياديين في الرأي... فمنهم من (يأكل الخبز والبصل بالقضية)كما يقول المثل الكردي.... ومنهم من له موقف الدكتور برهم و صلاح رشيد، أما نحن في اللجنة فأصررنا على مواصلة العمل.

البحث عن الأحبة

كانت خطوتنا الأولى نحو (الحيدرية) (خان نص) بين النجف وكربلاء... أجتمع في ذلك المكان اغلب شيعة العراق الذين قدموا للتنقيب عن شهدائهم وكانوا يستريحون حول (مركز الخان) ويسمونه (خان ربع) أيضاً.

سكان المنطقة هادئون ويشتغلون غالباً بأمور الحياة اليومية.

وقد ظلمهم نظام صدام كثيراً، وظهرت في هذه المنطقة مقاومة عنيفة وواسعة لكن صدام محاهم.

عانى الشيعة على العموم كثيراً من ظلم البعث على الرغم من أنهم يمثلون الأغلبية في العراق، (٥٥٪) من سكان العراق، مع ذلك نادراً ما تسلم الشيعة مناصب مهمة في الدولة العراقية فلحين سقوط صدام تبدل رئيس الوزراء أكثر من (٧٢)مرة كان نصيب الشيعة (٥) مرات فقط وهؤلاء الخمسة شكلوا الحكومة (٦) مرات فقط.

ويجب أن لا ننسى أنه خلال (٢٥) سنة على تكوين دولة العراق... شكل الشيعة الحكومة في عهد (صالح جبر) سنة ١٩٤٧ مرة واحدة ومن سنة ١٩٥٨ إلى سقوط صدام شكل شيعي الحكومة مرة واحدة وهو(ناجي طالب) في ٦/آب سنة ١٩٦٦م.

ومن هنا ندرك مدى مظلومية الشيعة على الرغم من أن شيعة العراق يتباهون بعراقيتهم ولكن هذا لا يكفي ولا يمنع بأن يتعرضوا إلى حملات إبادة جماعية وقتل وتشريد واعتقال، فكنا نرى اعتقالهم وسجنهم في زنزانات النظام بحجة وتهمة التشيع والإيرانية .

ولزيادة المعلومات حول مظلومية الشيعة يمكن للقارئ الكريم أن يراجع الكتب التأريخية في هذا المجال مثل كتاب الدكتور (حسين الشهرستاني): (الهروب إلى الحرية)، وهو افضل شاهد على أقوالنا.

الشـيعة يؤكدون دوماً علـى أن هناك طائفتين مظلومتين في العـراق هما (الكرد والشـيعة) وهؤلاء يمثلون ثلاثة أرباع سـكان العراق والشـيعة يتعاطفـون مع الكرد ويحبونهم، فقد اتضحت لنا هذه الحقيقة أثناء رحلتنا هذه ويمكن أن يكون السبب في ارســال الكرد ليقتلوا ويدفنوا في الجنوب. هو لمحو القومية الكردية من جهة وتخويف وترهيب الشيعة. وهذه هي الحقيقة.

قبل ذهابنـا إلى الحيدرية مررنا بكربلاء وهناك زرنا (جمعية حقوق الإنســان في العراق/فرع كربلاء)، حيث مجموعة منشـغلة بأعمال ونشـاطات الجمعية وبعد ذلك تغير إسم الجمعية إلى (مراقبة حقوق الإنسان) ومن أولئك العاملين في الجمعية (وصفي كناني ومهند كناني وآخرون) ومهند هو المسـؤول عن المنظمة وهو رجل هادئ يدرك مسؤوليات مهنته جيداً.

كان يسـاعد المواطنين كثيراً وهم منشغلون كثيراً بحقوق الإنسان، وقاموا بتأسيس عدة لجان أخرى وكانوا يعرفون مكان (٢٩) مقبرة جماعية بالقرب من الحدود.

وإحـدى تلك المقابر عائـدة (للكرد) ويجب علينا زيارة تلـك المقبرة، وهذه القبور الجماعية تمت معرفة مكانها بمسـاعدة سـكان المنطقة، فأخبروا الجهات المعنية عنها، وهؤلاء المواطنون أعلمونا بمقابر الكرد.

وبعد اسـتراحة قصيرة اتجهنا سـويا نحو الحيدرية. والحيدرية تبعد حوالي ٨٠كم عن كربلاء نحو النجف، والناحية تقع بين النجف وكربلاء.

وتلك المنطقة التي توجد فيها رفاة الكرد تسمى (المزارع ـ الخط الثالث).

وأثناء خروجنا من الناحية برفقة عدد من الشهود على المقابر الجماعية وهم كل من (عباس عاصي وكريم عطية وعلي عبدالأمير) وفي الطريق وداخل سـيارة (الكيا) كانـوا يتحدثون عن تلك الأيام التي نفذت فيها حمـلات الأنفال والاعدامات وتم قتل الضحايا وكانوا يسـمعون عويل وبـكاء هؤلاء الكرد. وهتافـات (الله أكبر) وصيحاتهم. وسماعهم أصوات العيارات النارية لعفالقة النظام.

وأعطانا (كريم) في شدة ثلاث ساعات ومحفظة جيب (جزدان) وعدداً من «هويات

الأحوال المدنية» تعود للضحايا وللأســف الصور والكتابــات المدونة على الهويات كانت ممســوحة كلياً، ولكن ســعدنا بوجود معلومة (عدد المحافظة) على الهوية. والساعات كانت متوقفة وعاطلة في هذه الأوقات ٠٢:٠٩ الثانية وتسع دقائق، وكذلك ١٠:٠٥ العاشرة وخمس دقائق، وكذلك ٨:٠٥ الثامنة وخمس دقائق. وكانت نوعية الســاعات وماركاتها هي ســاعات (الأورينت) وفي الصفحات القادمة نتحدث عن تلك الساعات، وعند وصولنا المكان وجدنا (جمعية حقوق الإنســان/فرع كربلاء) قد خطت بخط واضح على لوحة معدنيــة الآتي (المقــبرة تعود لأبناء شــعبنا الكردي العزيز . بأشــراف منظمة حقوق الإنسان . فرع كربلاء . الحيدرية . يحرم الدخول اليها) .

وعند قراءتي لهذه اللوحة، انتابتني موجة حارة وقوية من البكاء وبغزارة ، لا أدري في تلــك اللحظة التي رأيت فيها رفاة ضحايا الكرد الغرباء تحت رمال الصحراء تذكرت تلك اللوحة التي رسمتها عن الصحراء وهي عبارة عن قصة المؤنفلين في الصحراء وهي رفاة الكرد وفوقها وردة النرجس وهذه هي تلك الصورة اراها مجدداً.. تمالكت نفســي كــي لا اظهر ضعيفاً في هذا الموقف المختلط بالبكاء والبكاء ليس من شــيم الرجال كما يقال ويعني الضعف أحياناً، وفي اعتقادي هنا الرجال مظلومون لأن الآخرين لا يتركون الرجل يبكي براحته وينفث أحزانه العميقة ودموعه المنحصرة.

في الصحراء ومع أخوتنا العرب الذين تجمعوا حولنا.. قرأنا سورة الفاتحة على روح الضحايا ثم اجتمعنا إلى أحاديث هؤلاء المتجمعين. فسردوا لنا روايات واقعية حيث قال (محمــد عبدالواحــد جوهر) حينما كنت راعياً في المنطقة رأيت ثلاث ســيارات كبيرة وعدة ســيارات صغيرة جاءت إلى هذا المكان. وقبلها بأيام رأيت عدة شفلات قامت بحفر عــدة حفر، ثم ســمعت أطلاقات عيارات نارية فتحققت منهــا فتأكدت بأنها إطلاقات إعدام أبرياء.

يبلــغ عرض المقبرة الجماعية ٢٠ متراً وطولهــا ٦٠ متراً ... وفي متر مربع واحد من المقبرة تتواجد رفاة وعظام ١٢ ضحية تم إخراجها .

هــذه أول رحلة لنــا إلى الجنوب وهذه أول مقبرة جماعية ذهبنــا اليها في الجنوب،

وقبلنا كانت لجنة حقوق الإنســان برفقة الســيد (ســعدون فيلي) نائب وزير حقوق الإنسان والمرحلين والمؤنفلين قد زارت (الشنافية) حيث مقبرة جماعية اخرى أكبر من هذه المقبرة. فكان عدد الضحايا داخل المقبرة يبلغ الآلاف.

الجنوب مناطق مدمرة

لم يترك نظام البعث في كل مناطق الجنوب سوى الخراب .

الخراب داخل المدن الكبيرة الخراب في الأزقة والشوارع الرئيسة وفي (الكورنيشات) فأجمل المحلات والدكاكين تجري من أمامها مجاري المياه فتمحوا كل ماهو جميل.

هـــذا المظهر يتكرر في جميع المحافظات في البصرة والناصرية والســماوة وكربلاء ، تعمد البعث عدم تطوير تلك المناطق. وكما هو معلوم كانت القيادة السياسية العراقية خالية أو نادراً ما نجد فيها قيادياً من كردســـتان والجنوب . وقام النظام بتصفية كل أولئك ومن تبقى فهم جواسيس البعث وأزلامه.

كانت سياســة النظام تهدف إلى تهميش تلك المناطق من العطاءات وحملات الاعمار والجميع يعلم أن هموم البعثيين كانت شراء الدبابات قبل بناء مدرسة.

وكان تكفـــي تلك المحافظات الأموال التي تصرف علـــى التماثيل والصور الصدامية كي تزدهر وترتقي.

وهذا الاهمال المتعمد أشعر المواطن الجنوبي باليأس التام .

ونحن في الجنوب لم نشاهد أي مَعْلَم للجمال سوى جمال فتيات الجنوب.

لذلك فان ســكان مدن «البصرة والســماوة والناصرية» لم يهتمــوا ببناء وتجميل مساكنهم وكذلك لم يفكروا حتى في إقامة حديقة وزراعتها بالزهور لينعموا بروائحها الزكية.

كان الجنوب في عهد النظام عبارة عن معسكر كبير لايحتاج إلى حدائق و زهور...

ولا تندهشــوا أو تتعجبوا لو قلت لكم ان في كل محافظات الجنوب لا توجد حدائق بعدد حدائق مدينة الســليمانية وحدها (وقت كتابة هذا الموضوع صيف ٢٠٠٣)، وبدل كل حديقة بنى البعثيون هناك معسكراً.

معســكر مليء بالعتاد والأســلحة والمدافع، مليء بالظلم والقمع والارهاب والعذاب.

ومناظـر المعسـكرات تذكرنا بجبروت البعـث ونحن حينما نقـول الجنوب عبارة عن معسـكر كبير ومهجور. فنذكر لذلك مثالاً لمدينة كبيرة كالبصرة.. فبالقرب من موانئ المدينة وشـواطئها تشـاهد المياه الآسـنة وجريان مجاري البيوت وترى أكوام القمامة فتفقـد المدينة كل جمالها ولا تـرى رمزاً للجمال. وتعتبر أكـوام القمامة مركزاً مهماً للفئران والجرذان والقطط، وبسـبب قربها من الفنادق والمطاعم . فترى أكوام الذباب والصراصر بالقرب من تلك الفنادق والمطاعم .

فالجنوب عبارة عن خراب في خراب وتشـعر بخوف شديد في بعض الأماكن والأزقة لأن على مدى النظر لا ترى إلا خراباً وفراغاً .

ونجح البعث في جعل المنطقة يابسة قاحلة كي يستطيع السيطرة عليها..

واستطاع النظام أن يعرف إيرادات كل منطقة ويضعها تحت سيطرته.. كان النظام يسـتطيع توزيع الثروة بالتسـاوي على كل محافظات العراق ويجعل من العراق أجمل دولة على الصعيد العالمي بسبب تواجد النفط والمعادن ووجود الأماكن المقدسة والمناطق السياحية والزراعية ...الخ

ببسـاطة كنا نستطيع أن نجعل بلادنا أجمل بلدان العالم لو لا سيطرة البعث على دفة الحكم في العراق .

ونرى في هذا الجنوب الواسع والكريم بدل كل شيء جميل هناك مقبرة جماعية .

مقابر جماعية للكرد مقابر جماعية للجنوب خصوصاً ضحايا إنتفاضة سـنة ١٩٩١ وهناك الناس دائماً يتحدثون عن المقابر الجماعية ويقولون: تحت ذلك التمثال مقبرة وتحت ذلك القصر مقبرة.. ففي كل مكان يمكن أن تتوقع مقبرة جماعية.

فمثـلاً أمام مبنى كليـة الإدارة والإقتصـاد مقبرة جماعية أحاطهـا البريطانيون بالحواجـز... وتـرى أمهـات الضحايا خلـف الحواجز الحمـراء يبكـين بحرقة على ضحاياهم.

وهنـاك مقابـر جماعية في داخل ثاني أكبر مدينة والنـاس لا يعلمون بها فيرمون القمامة والأوساخ في مكان المقبرة الجماعية.

ومــن الواضح ان أغلب القيادات البعثية هي همجية قادمة من مناطق نائية بعيدة عن المدينة... فهم لا يفكرون إلا بعقلية متخلفة ويعملون بنفس العقلية.

فنرى مثلاً مدينة مثل (تكريت) بعدما كانت منطقة نائية كقرية تحولت مباشرة إلى محافظة كبيرة على حساب المحافظة الأصلية.

وهذا التفكير القبلي موجود باستمرار. فمثلاً رئيس القبيلة لا يسمح لأي شخص في القبيلة أن يشيد داراً أكبر من داره. وكذلك الحال مع صدام.

وهناك الكثير من الذين يروون لنا كيف كانت العوجة تعج وتزدحم بالمواد الغذائية الجديدة وبأســعار زهيــدة في ظل الحصار مقارنةً ببقية محافظات العراق ولا يســمح لعراقي بأخراج شيء إلى منطقة اخرى .

ويقول رجل دين شــيعي (إنها لكارثة كبرى أن تحكم قرية مثل العوجة العراق ... العراق بهذا التأريخ العظيم وبكل هؤلاء العلماء والحكماء)

ويقول رجل الدين نفسه (ولو كانت قرية عدلة بدل عوجة لكانت افضل) !

منذ سنة ١٩٦٣ إلى سنة ٢٠٠٣ أكثر من (٢٠) شخصاً من مدينة تكريت سيطروا على أغلب مناصب الدولة .

ولم يتســلم شخص واحد من كردستان أو الجنوب على مدى أربعين سنة من حكم البعث منصباً مرموقاً .. سوى (١٠) مناصب قريبة من السلطة . ولمحو كل ذلك الخراب والدمار الذي تعرض له الجنوب فنحن بحاجة إلى إمكانيات ضخمة وصبر كبير.

إن الذي دمره البعث خلال (٣٥) ســنة لا يمكن بناؤه بســنة أو ســنتين.. ويجب أن لا ننســى في النهاية نحن في أكبر مقبرة... وهو العراق . فلو لاســمح الله، إســتمر صدام وزمرته في الحكم عشــر سنوات أخرى كانت أجسادنا نحن الأحياء تحت الثرى والتراب فمن يجدها...؟

كوارث الكرد والشيعة

كل مـــن يزور العـــراق لعدة أيام تظهر له بوضوح المصائـــب التي وقعت على الكرد والشيعة.

فعلى مر التأريخ العراقي الحديث حكمت الأقلية الســنية الشيعة والكرد وعذبتهم عذاباً شديداً... على الرغم من أن السنة يمثلون ١٨٪ من سكان العراق.

والكرد ١٩ـ ٢٠٪ والشــيعة ٥٥٪ ودائماً كانت قيادة الجيش والمهمات الدبلوماسية بيد هذه الأقلية.

وكانت نظرة الأقلية السنية العربية إلى الشيعة والكرد نظرة متعالية عدائية.

فيتهمون الكرد بالإنفصالية وإشــعال الحروب ويتهمون الشيعة بالأعاجم والتبعية والولاء للغريب والعجم في اللغة العربية نوع من الحيوان.

وعلى مدى ٣٥ سنة من حكم البعث كان حكمهم مليئاً بالمظالم ضد الكرد والشيعة في العراق. فهكذا كانت تتعامل العرب الســنة وبهــذه العقلية مع غيرهم. ودائماً كانت ســجون ومعتقلات البعث مفتوحة أمام كرد والشــيعة وأغلب الســجناء والسياسيين في عهد النظام من الكرد والشــيعة ونادراً ما رأينا ســجن أو فصل عضو سني من وظيفته لإنتمائه السياســي... وفصله كان فقط من حزب البعث أو الســلطة وليس الوظيفة... وهذا الفصل الحزبي شمل أقرب المقربين من صدام وبمراحل متتالية.

اغلبية سكان الجنوب تدرك تلك المظالم والمآسي التي لحقت بالشعب الكردي والشيعة فإن همومنا وغمومنا مشــتركة... وطوال تواجدي في الجنوب لم ألتق سوى مثقف واحد يدعي الثقافة وهو شاب يعمل في مركز ثقافي في السماوة كان يخاف «الفدرالية» ويقول انها (بدعة) وتعني تقسيم العراق، والظاهر أن هذا الشخص لم يقرا كثيراً عن الفدرالية.

والحقيقة أن الكرد والشيعة لهم عدو واحد الا وهو (حزب البعث العراقي).

وقبل ذهابي إلى الجنوب كنت اعتقد أن مظالم البعث وقعت على كردستان فقط.

والظلم الأكبر وقع على مدينة كركوك بتدمير كل مقومات الحياة في المدينة وترحيل

وتهجير أهلها واعدام واعتقال شـــبابها بغية أن يعم شوارع المدينة الوشاح الأسود لأمهات المعدومين والمعتقلين الكرد.

وشاهدت المناظر والمشاهد عينها في الجنوب. هدم لكل مرافق الحياة الحيوية واللون الأسود يكسو نساء الجنوب.

وكل هذا الظلم وقع على الكرد في كركوك بســبب إنتمائهم القومي وتواجد النفط بشكل كبير في المدينة وهذا يدركه العالم.

ورأيت في الجنوب مقابر جماعية لنســاء وأطفال وشــيوخ الشــيعة... الكل مدفون بملابســهم.. وأغلبهم دفنوا سنة ١٩٩١ بعد الإنتفاضة.. واستخدمت الأسلحة الكيمياوية هناك أيضاً... وحرقت المزارع والبســاتين والحقول هنــاك وردمت العيون والمنابع انها نفس مصائب ومآسي الكرد التي ألحقها النظام بهم. فخوفاً من بطش البعث مات الآلاف مــن العوائل الكردية الهاربة إلى حدود إيران ســنة ١٩٩١ خوفــاً من بطش وفتك نظام صدام... فماتت الأغلبية من البرد والجوع..

وهناك مئات المقابر الجماعية على الحدود بين إيران والعراق.

وهنــاك آلاف الضحايــا الذين دفنوا في مدن إيرانية عنــد هروبهم من فتك الجيش فماتت اغلبية الكرد في ديار الغربة في إيران. وهناك الآلاف من الأعزاء والأحبة مجهولي المصير منذ عشرات السنين لا نعرف لهم مكاناً أو خبراً ليس لهم ذنب سوى انهم أكراد.

ولاخواننا الشــيعة نفس العدد من الذين ماتوا جوعاً وعطشــاً وحراً على الحدود بين العراق والسعودية والأردن. هذه العوائل التي هربت من قساوة وبطش النظام. من ســكان البصرة والعمارة والنجف وكربلاء وأكلت رفاتهم الذئاب الليلية على الحدود مع السعودية أو نهشتها الكلاب السائبة ولم ينج منها سوى القليل .

وحدثنـــي رجل من كربلاء عن مصرع عزيز له . قال (توفيت زوجتي أمام عيني . حيث كانت ترتجف بشــدة ، وتعرقت عرقاً بــارداً ، ففاضت روحها) وكذلك حدثت لأبنته نفس حالة زوجته ، فقام الوالد بربط الفتاة بشدة كي لا ترتجف أمام عينه .. ففارقت المسكينة الحياة على غرار والدتها ، وعند وصولهم إلى احد المعسكرات السعودية

يخبرونهم كي يعيدوا الرفاة ... وحينما يصلون المكان ، يشاهدون رفاة الأم والبنت في فم الكلاب والذئاب وعندما كان يروي لي هذا العربي الجنوبي القصة أو الحادثة كان يبكي بحرقة وألم . إنها تراجيديا شعب الجنوب نفس قصص وحكايات المعتقلين الكرد في نقرة السلمان .

فعندما كان يموت معتقل كردي هناك ، يقومون بدفنه فيقوم الكلب الأسود باخراج الضحية ويأكلها وينهشها ويمزقها تمزيقاً .

فالأكراد والشيعة يلتقون ويشتركون في نقاط كثيرة...

وحينما كان يعلم أصدقائي ومعارفي في جمجمال وشورش ومناطق متفرقة بأني عضو في «لجنة الجنوب» للبحث عن المؤنفلين فكانوا يأتون بأسماء ذويهم المؤنفلين لأبحث عنها في المقابر الجماعية.

وذات مرة جاءني رجل من دوكان حاملاً أسماء اثنين من أخوانه المؤنفلين كي ابحث عنهم في الجنوب... وأخذت منه الأسماء... وكذلك الجنوبيون كانوا يعطونني أسماء ذويهم المفقودين كي أبحث عنهم في كردستان... وهذه نقطة التقاء اخرى في مصائبنا...

ويجب أن لا ننسى أن المناضلين من الأكراد والشيعة كانوا شركاء مصير واحد في سجون أبي غريب وفي مراكز الاستخبارات العراقية في كل مكان في العراق...

والقيادات السياسية الكردية والشيعية تمت تصفيتها واعدامها في سجون الطاغية وهذا الالتقاء في المصائب بين الكرد والشيعة يقلق العرب السنة، فهم ينظرون إلى مصائب وويلات الشعبين على أنها وحدة منبثقة من هذه المصائب، وأن هؤلاء لا يدعونهم ان ينفردوا مرة أخرى بالسلطة.

وكانت الأقلية السنية إبان حكم البعث رمزاً للاستبداد والظلم والتعسف فالبعثيون ربوا السنة على احتكار السلطة والأرهاب، وحزب البعث قدم للعرب السنة كافة التسهيلات لضمان رايهم ، وعمق الخلافات بين الشيعة من جهة ومع الأكراد من جهة أخرى في العراق .

الجنوبيون ذوو العيون السود ·· شاركونا الهموم

مشـاهدة هذه العبارة في الحيدرية (تعود هذه المقبرة إلى أخواننا الكرد) أبكتني من الأعماق وهزت كياني وهناك أخذ بيدي أحد إخواني العرب وواسـاني، عندها تذكرت قطعة شعرية للشاعر «گۆران» ورددتها في مناسبات أخرى حيث يقول:

أخي العربي ذو العيون السود

مرٌّ نصيبك. ومرّ نصيبي

جرعنا المرّ في كأس واحدة

مما جعل منا أخوين نتذوق العسل

إذ لولا سياسـة البعث الشـوفينية وأعوانه من بعض العرب لكان أغلب عرب العراق يجيـدون اللغـة الكردية بطلاقة. حالهـم حال أغلب الأكـراد الذين يجيـدون اللغة العربية.

وفي السـماوة سـألني مواطن «لم لا تبعثون لنا عدداً من المعلمين الكرد كي يعلمونا اللغة الكردية».

وهناك قلت له أن رئيس وزراء العراق كان حينها لا يجيد كلمتين بالكردية... فكيف يحمـي الكرد...؟ فمنذ عهد «عبدالرحمن النقيب» إلى عهد صدام تسّـلم كردي واحد منصـب رئيس الـوزراء الا وهو (احمد مختار بابان) وكانت مـدة ولايته قصيرة جداً بحيث ما اسـتطاع مواطن كردي كتابة (عريضة) له. وممن قدم لنا تسـهيلات كثيرة وحمل هموم قضيتنا الصديق (منيف كامل)، حيث ساعدنا كثيراً... ولقاء خدماته لنا.. قررنا مسـاعدته مالياً فإذا به هو الذي يريد أن يقدم لنا مسـاعدة مالية... ومنيف.. شـاب من السماوة... كان يفتخر بصداقته للكرد وقربه منهم، وكان سعيداً برفقته لنا في الرحلة.

ونحن في هذه الرحلة كسـبنا كثيراً من الأصدقاء ويسعدنا أن نتحدث عن كل واحد منهم.... وهم:

١ـ منيف كامل الزيادي:

يبلغ عمره ما بين (٢٥ـ ٣٠) سـنـة. وهو شـاب نبيه نشـط كان يعمل بين السعودية والعـراق . وهـو يرغب كثيراً في أن يتعلم اللغة الكردية ، وكان يفتخر بعروبته ، ويحمل مسدساً تحت أبطه ويتعامل مع الضيف كالعربي الأصيل وله ثلاثة إخوان آخرين ، قدم لنا عوناً كثيراً . وأبدى استعداده أن يقدم لنا جميع التسهيلات التي نحتاجها ويأتي معنا حيث نريد .

٢ـ كريم عطية حسن:

من الحيدرية (خان نص) شـاب أسمر متوسط الطول. وهو الذي حمل معه ساعات الضحايا وكريم عانى كثيراً في معتقلات وزنزانات النظام. قام النظام بإعدام ثلاثة من أبناء عمومته. مازال مكان رفاتهم مجهولاً. بتهمة انتمائهم لحزب الدعوة، وكان يبحث عـن رفاة أبناء عمومته الثلاثة.. وكريم أخذنا إلى مقبرة «المزارع» وهناك قام باخراج الضحايا واحدة تلو اخرى كي نراها وكان يرشدنا إلى مكان الرصاصة في رأس الضحية، تلك الرصاصة التي أطلقها البعثيون، وكريم يبلغ من العمر قرابة ٢٥ سنة.

٣ـ بشير صالح:

مـن البصرة يبلـغ حوالي ٤٠ سـنة كان يعمل مع (منظمة حقوق الإنسـان/ فرع البصرة) رافقنا إلى المقبرة الجماعية التي تقع أمام جامعة البصرة.

حدّثنا في سيارة التاكسي عن تلك الفتاة الصغيرة التي كانت من بلدة (زراين) حينما سمعوا صوت بكائها في احدى ليالي سنة ١٩٨٨ عندما كان بشير جندياً هناك. فلما ذهبوا إلى حيـث الفتـاة، وجدوها تبكي فبقيت تلك الفتاة معه ومع صديقه إلى أن عثروا على اهل الفتاة وسلموها لهم..

ويقـول بشـير ان اقرباء وأهـل الفتاة موجـودون اليوم وهم يعرفـون المزيد عن الحادثة.

وعدا هذه الأسماء.. هناك المزيد من أولئك الذين نتحدث عنهم في الصفحات القادمة من هذا الكتاب.

وكلما ذهبنا إلى منطقة كان اخواننا الجنوبيون يقدمون لنا النصائح والارشــادات.. ويحذروننا من اللصوص وقطاع الطرق فعلينا أن نحذرهم.

وكثير من هؤلاء الأصدقاء كانــوا يحاولون رفع التهمة (تهمة المقابر الجماعية) عن العرب .. ويقولون (ان الذين قاموا بهذه الجرائم هم البعثيون)

وكنــا نجيبهــم (لا يوجـد واد بــدون واوي) أو (ليســت جميــع أصابع الإنســان متطابقة).

وهؤلاء كانوا صادقين في أقوالهم، وكان هناك من ينظر إلى مهمتنا باستهزاء ويقول لنــا (حملتم القضية أكثر من اللازم) وكان فيهم نفعــي يريد الحصول على المال منا. وأعلمنا صديق من الجنوب (بأن هناك من الأشخاص مَن كان موجوداً في العمليات وهو أحــد منفذيها ولديهم معرفة تامة بمكان المقابر الجماعية.. واليوم هؤلاء يبيعون تلك المعلومات).

وفي الجنوب مازال البعثيون نشــطاء. فمثــلاً ذات مرة تحدث رجل عن البعث وهو يهمس من تحت شفتيه... وبعد حين عرفنا انه كان يخاف بطش البعثيين.

ويعود هذا الخوف إلى تلك الســنوات الـ٣٥ التي اســتخدم النظام فيها الحديد والنار مع العراقيين.

وبعــد جولتنا في الجنوب تأكدنا بأن لا يوجد شــخص هناك لا يخاف بطش وظلم البعث.

فحتى البعثيين أنفســهم يخافون من البعث، وقد يكون صدام الرجل الوحيد الذي لا يهاب البعث.

وبصراحــة كان»قصي وعدي وطه ياســين» يخافون من البعــث... فالبعث أرهب الجميع، وهو الحزب الوحيد في تأريخ الإنســانية مارس البطش والقمع والظلم بأقصى مدى على مواطنيه. فالبعث ســلب أنســانية الإنســان. فالبعثيون لا يعاملون الآخرين على أنهم بشــر، وهؤلاء الآخرون لا ينظرون إلى البعثيين بأنهم من جنس البشر. وهم ينظرون إلى الآخر نظرة حقارة واستهزاء.

وهذه النظرة هي تربية قديمة للبعث لاعضائه، فهم يحقرون (الفارســي و التركي و العربــي الكويتي والعربي الســعودي والغربي). هي خاصــة بالبعث. وفي تنظيماتهم ينظرون نظرة استهزائية حقيرة إلى خصومهم.. خصوصاً.. الكرد.

البكاء على الرفاة

تمثـل كل تلك الطلاقات في رؤوس ضحايانا كـوارث ومصائب لنا .. في أكثر المقابر الجماعية يتكرر هذا النوع من الموت .

ومواضـع تلك الاطلاقات توضـح في تلك الصور التي ألتقطناها. في أكثر من موضع ومكان أبكتنا المقابر الجماعية ، ومما أثار دهشتي بكاء إخواننا العرب أيضاً .

وأغلب هذه الرفاة هي رفاة كرد لا ذنب لهم سوى أن الباري خلقهم كرداً.

من هنا أردت أن أبحث التهمة الموجهة إلى هؤلاء ، فالمتهم معروف (النظام وجلاوزته) ولا حاجة إلى اثبات تهمتهم . بل أريد أن أبحث تهمة (الكرد)

وهذه لها علاقة بتأريخ وسياسة الغرب .. وتقسيم كردستان بين ثلاث أو أربع دول متصارعة ، هذه الدول تأريخها مليء بالقتال والعنف والثأر وعدم المصالحة.

فماذا اقترف هؤلاء الأطفال المدفونون في صحراء «ضبي» سوى أن خلقهم الله كرداً.

وكل هـذه الرفاة هي رفاة أولئك الكرد الذيـن خلقهم الله تعالى كرداً في هذا العراق (العربي).

بما أن هؤلاء كرد، فهم يستحقون القتل والنفي أو أن تمارس ضدهم حملات (الأنفال).

حملات الأنفال التي مورست قبل ١٤٠٠ عام فيجب أن تكرر اليوم على الكرد.

وتداخل كل هذه العظام التي لا يمكن فصلها مصيبة.. لكن هذا التداخل له مدلول خـاص عندي «إذن الجميع في هذه المقابـر الجماعية هم كرد.. هنا لا تفرقنا الأحزاب والعشـيرة والقبيلة واللهجة والملبس كلنا في هذه الحفرة كرد.. ولا نفكر هنا بالاقتتال الداخلـي.. وأن يمحو احدنا الآخر فكل هذه الرفاة الكردية المتداخلة.. هي ضحايا تلك القومية التي لم تستطع عبر التأريخ أن «تتحد» كما اتحدت هنا.

هنـاك تخيلت اللحظـة الأخيرة والنظرة النهائية لهـؤلاء الضحايا إلى بعضهم.. انها لحظة الصفح والتسـامح عبر تلك العيون المتلامسـة فيما بينها ولحظة تقابل الشـفاه

بقبلة أبدية.. في هذه الحفرة ولحظة توديع الحياة إلى الأبد..

وان مدى حقـد الجلادين واضحة بأنهم لم يفرقوا بين الرضيع والشـيخ والطفل والرجل والمرأة.. فهذه الرفاة هي رفاة كل الأصناف.

أنظر.. كيف ربّى البعث وحوشاً؟ وحوشاً لا تميز حتى بين البشر

هنا تذكرت كلام علي حسن المجيد (علي كيمياوي)... ((نقتلهم جميعاً ... لانترك فيهم أحياءً))

إنها حملات الابادة الجماعية .. حملات لا تترك حياً .

بـين تلك الرفاة كنت أبحث عن قصص اللحظة الأخـيرة قبل الوداع... كنت أبحث وخاطرتي تأخذني إلى تخيل آلاف الأشياء.

فأصحاني صديقي العربي بقوله (في كثير من تلك الأماكن التي قتلوا فيها الضحايا... كثير من الناس سمعوا تشهدْ الضحايا وتكبيراتهم).

(ماد) ضابط أمريكي متواجد في السماوة في تلك الأثناء ذهب لرؤية مقبرة (ضبي) الجماعيـة رأى في يد احدى الضحايا (صرّة) يمسـكها بيده بقـوة وقد تكون الضحية (عجـوزاً)... وعندما فتح (مـاد) الصّره وجد فيها (حبوباً ومشـروب دواء) وهنا قال (ماد): «هذا المنظر دليل على أن الضحايا لم يعلموا بأنهم يساقون الى الموت».

تخيـل صورة امرأة كرديـة في أقصى الجنوب مازالت تحمـل دواءها.. إنها الأمل في هذه الحياة.

فالكرد يحبون الحياة وجمال الوجود.

فهذه الصورة للعجوز الكردية من أجل صحتها تحمل الدواء.

بكينا كثيراً على رفاة ضحايانا آميلن أن نعيدها إلى مواطنها الأصلي.

عدد من الساعات في مقابر الحيدرية

والآن عرفنا أن الضحايا اخِذوا مباشـــرةً إلى حفر الموت. لذلك لم يســتطع جلاوزة النظام من أخذ كل المستمســكات من الضحايا. على العكس من سياسة البعث في سجون الموصل و كركوك و ابي غريب، حيث كانت الضحية تجرد من كل شيء. وبعض الاشياء يُسلم إلى ذوي المعدومين..لكن ضحايا الأنفال لم يؤخذ منهم شيء سوى الأشياء النفيسة والغالية لذلك تجد في جيوبهم أشياء ... في أيدي ضحايا الحيدرية وجدوا ثلاث ساعات .. وهذه الســاعات وجدت على عظام اليد للضحايا.. وهي من أنواع الســاعات التى كان اقتناؤها شائعاً بين شباب الكرد حينها من نوعية (الاورينت والستزن).

وكريم تحدث عن كيفية عثوره على تلك الساعات .

وكان يضع الســاعات في (صرّة) من القماش ثم يضعها في كيس... وكريم كان يظن هذه الســاعات دليلاً جيداً لمعرفة أصحابها من الضحايا. هناك اخبَرنا كريم وأقرانه ان عدد الضحايا بالآلاف ولا يمكن معرفتهم أبداً بمثل هذه الدلائل. وقلنا له (بأن هناك عوائل لم ينج منها أحد). فهؤلاء لا تنفعهم الأدلة.. فلمن نقدمها؟

حملنا الساعات إلى وزارة المرحلين والأنفال وحقوق الإنسان...

وهناك نصحتنا الانسة(أن كلود) بعد أن نظرت إلى الساعات.. والتقطت عدة صور.

بأن نحتفظ بمثل هذه الوثائق والمستمسكات كى نضعها في المستقبل في متحف خاص لهذا الغرض.. خارج أو داخل العراق لضحايا كارثة الأنفال كما فعلت إســرائيل لضحايا (هولوكوست) حينها نســتطيع أن نقص هذه الأحداث الحقيقية لأحفادنا ونقول لهم: (هذه كوارث قتل وإبادة آلاف المواطنين الأبرياء بعيداً عن أي مبدأ اخلاقي وإنساني)

وحملنا مع الساعات هويات الأحوال المدنية ومحفظة لنحتفظ بها كوثائق.

كل تلــك الأدلة الموجودة بين رفاة الضحايــا من ملابس وأغراض هي ثروة وطنية للشــعب الكردي. حيث عن طريق هذه الأدلة نســتطيع إيصــال الكارثة إلى كل العالم.

والثروة ليســت فقط الموارد المالية المستحصلة فحسب.. فكوارث (هولوكوست والأرمن و هيروشيما و ناكازاكى) هي ثروة وطنية لأوطانهم.

مع كل هذا فان هذه الكوارث تقشعر منها الجلود وهى كارثة في حق الإنسانية.

ألبسة الكرد المتلوفة

على بعد مئات الكيلومترات عن موطن الآباء والأجداد وجدنا ألبسة كردية متمثلة بالسروال والياشماغ والقبعة الكردية والنطاق الكردي. والبسة كردية خاصة بالنساء... دفنت هذه الألبسة مع الضحايا تحت تراب الصحراء.

وبقيت هذه الألبسة شواهد حية على تلك الجريمة .

ولتقـول لنا نحن كنا: آخر أصدقاء الضحايـا في رحلتهم.. وكلما كنا ننظر إلى هذه الألبسة تأخذنا الدهشة والتعجب.

هـذا ثوب تلك المـرأة الكردية كانت ترتديه أثناء هطول المطر والحالوب في منطقة (گەرميان)؟ وهذه يشماغ رجل كردي؟ وهذه قبعة كردية؟

وحينما كنا نقلب الملابس كي نصورها.. وجدنا بين تلك الملابس مشـط شعر لم يتغير شيء.. وكل هذه الألبسة الكثيرة أغلبها كان سليماً كما كان في البداية تحت تراب الصحراء.

وكنا نسـتطيع أن نأتي بها ونضعها في متحف خاص . فكل هذه الألبسة بقايا أثواب الضحايا (ضحايا كارثة الانفال).

حيـث فكرنا أكثر من مرة أن هذه الملابس وثائق وشـهود على تلك الجريمة، لكن لا يمكننا أن ننزعها عن عظام الضحايا لأن ذلك يتسـبب بتداخل عظام الضحايا فيما بينها وهذه عملية عشوائية.

ونحـن على أمل أن تأتي لجان خاصة لهذا الغرض لتتعرف على كل ضحية... وهذا عمل شاق وصعب وحينما كنا ننظر إلى ملابس الـ(پێشمەرگە)*. (اقول پێشمەرگە) لأن أزلام النظام أعدموهم لكونهم يساعدون البيشمركة الكرد ولهذا السبب أنفلوا وقتلوا..

وهنـا تذكرت مقولة عمّتي (حَبَه) العجوز التي كانت تسـكن في مدينة (شـورش) وثلاثة من أولادها مؤنفلون اشترت هذه المسكينة ثلاث بدلات من الزي الكردي الجديد... واحتفظت بها سنوات على أمل عودة أبنائها... وكانت تقول: «عندما يعودون سيلبسون بدلاتهم الجديدة كي لا يقول عنهم الناس بأنهم غير مرتبين».

وكنت أفكر بأحاديث عوائل المؤنفلين اليومية حينما كانوا يسألونني «هل يعودون.. ؟» وكان الجـواب «الله كريم» وفي يوم ٢٠٠٣/٤/٩ ترك دكتاتور بغداد كرســيه الدموي وسقط... فآلاف العوائل الكردية المؤنفلة كانت تنتظر عودة ذويها المؤنفلين في يوم ١٠/ ٢٠٠٣/٤... الآن سيعودون... لا... بعد قليل سيطرقون الأبواب.... سيعود المؤنفلون...

وكنت أفكر هل من الشجاعة لو قلت لعمتي (حَبه) «لن يرتدي أحد من ابنائها تلك البدلات ؟» فكنا نقول دوماً ان أبناءنا المؤنفلين حينما يعودون ستكون ملابسهم رثة . لأنها نفس الملابس التي اعتقلوا بها.

وهنا قلت.... لا ننتظر من اليوم أحداً يطرق علينا الباب. فلا ننتظر طرق الأبواب إذن كل هذه الألبسة الممزقة... هي ملابس الأكراد التالفة في أعماق الصحراء.

وقـــام الأخ (منصور) أحد أعضاء لجنتنا بالاحتفــاظ بقطعة أو قطعتين من لباس الأطفال الكرد حملها من «ظبي» كشهود على الجريمة.

واحدى قطع الفانلات كانت تصلح لطفل بعمر خمس ســنوات ياترى في أول لحظة شــراء هــذه الفانلة كــم كان ذلك الطفل مســروراً؟... وكم غنت والــدة الطفل لابنها حينما ألبســته هذا الثوب الجديد؟.... تذكر نفســك حينما كانت أمك تشتري لك ثوباً جديداً..؟

ياتــرى... كم قبلت والدة هذا الطفل ابنها...؟ وكم مرة ضمته إلى صدرها؟... وكم كانت تنتظر لحظة لحظة ويوماً بعد يوم كي يكبر طفلها...؟

وكيف بها أن تعرف أن نهايتها وطفلها هي في صحراء «ظبي»؟ وإن آخر منزل لهما هناك؟

وكيف بها أن تعرف أن تلك الفانلة ســتعود إلى كردســتان بعد (١٥) عاماً... ولتصير تلك الفانلة شاهدة على هول الكارثة التي تعرض لها الشعب الكردي أمام أنظار وعيون العالــم أجمــع. دون التفوه بكلمة واحدة... واليوم صارت تلك الفانلة شــاهدة لقصص ضحايا الأنفال.. يقصها على كل من يريد أن يسأل عن جريمة الأنفال.

حزام (پشتێن) البيشمركة

وجدنا في (المزارع) (خان نص) أحزمة القماش الكردي الطويل والعائدة للبيشمركة الكرد...وهذه الأحزمة القماشـية تسـتخدم تحت الشـاجور...فكان البيشمركة الكرد يضعون هذا الحزام القماشي الطويل جداً والعريض تحت مخازن الأطلاقات (الشاجور) ويربطون فوقها أكبر عدد من الشـاجور وكان هذا في فترة الثمانينيات. وأغلب شـباب الكرد خصوصاً في القرى يقلدون البيشـمركة في ذلك. ولهذا الحزام القماشي قصص مع البعثيـين وجحوش النظام (الجاش) من خونة الكرد. فهؤلاء أيضاً كانوا يربطون نفس الحزام وعلى غرار البيشمركة.

وكان هـؤلاء يحتقرون كل كردي يرتدي نفس الحـزام ولكن رفيع وليس عريضا. وينظـرون نظرة عدائية لكل شـاب كردي يرتدي الحزام الرفيـع.... اضافة إلى هؤلاء الجحوش فأجهزة نظام البعث في حينها كانت لها نفس النظرة لشـباب الكرد، خصوصاً في ثمانينيات القرن المنصرم. فعشرات المرات أهانوا شباب وطلبة الكرد بسبب ارتدائهم لذلك الحزام الرفيع . خصوصاً إذا ربط الحزام فوق القاط الكردي الأبيض... وكم مرة ضربوهم على هذا الزي. فذات يوم كنت في «جمجمال» وأنا طالب يافع في الصف الثاني المتوسـط قام جحوش النظام بضربي لارتدائي هذا الزي الكردي، وكنا دائماً نتسـاءل: كيف يستطيع البيشمركة حمل كل هذه الاعتدة. فالحزام الكردي كان يساعده في ذلك. فالبيشـمركة كان يظهر عملاقاً كبيراً بسـبب ذلك إضافة إلى أنـه كان يحميه من آلام الجسـد وحينما وجدنا هذا الحزام القماشـي في احدى المقابر الجماعية أخذني خيالي إلى تلـك الأيام الخوالي من عهـد الثمانينيات... تخيّلت ذلك اليوم الذي شـاهدت فيه عبر شاشـة التلفزيون العائد للنظام، شـاهدت مئات البيشمركة المعتقلين. وقال مذيع النظام يومها: «هؤلاء عادوا إلى أحضان الوطن وكل هؤلاء البيشـمركة كانوا جالسـين بصمت وبزيهم الخاكي والأحزمة التي لم تكن فوقها الاعتدة. فبعض هؤلاء كان ينظر إلى الكامـيرا، وبعض منهم موطئ الرأس وينظر إلى التراب وكأنهم كانوا يفكرون في أيام

الحرية. حينما كانوا أحراراً في قرى وجبال كردستان. وكأنهم كانوا يقارنون بين هذا اليوم والبارحة. وفي ذلك اليوم كل من شاهد تلك المشاهد كان يعرف ان مصير هؤلاء هو «الموت» لا محال. فبعض النساء حينما رأيْنَ تلك المشاهد قلن «تمنينا فقد النظر لا أن نرى هؤلاء بمثل هذا الحال». فهؤلاء كانوا متراصين بانتظام في طوابير طويلة وعريضة وهم صامتون دون كلام.

وكان المذيع يتكلم بكلام لا طائل منه، وهؤلاء يفكرون بمصيرهم. وكل هؤلاء تم إعدامهم ولم يرهم أحد سوى تلك المرة من على شاشات التلفاز. لا أدري... لماذا تذكرت كل هذه الصور حينما أخرجنا تلك الأحزمة من المقبرة. وكان الحزام طويلاً جداً بحيث قمنا جميعاً بحمله لغرض التصوير... ولنقول لكم (هذا هو حزام قماش الكرد وصل إلى عمق الصحراء). وحينما كنا نقوم باخراج كل قطعة من الزي الكردي من تحت أتربة الصحراء... نحدث عنها أخواننا العرب، وشرحنا لهم لماذا يجب أن تكون احزمة القماش الكردية طويلة بهذا الشكل. وحينما كنا نرى كل تلك الملابس الكردية . فلابد للانسان أن يسأل نفسه سؤالاً وجيهاً: ماذا يربطني أنا بهذا العراق...؟ هذا العراق الذي منذ تأسيسه وإلى يومنا هذا مصدر عذاب وظلم وتعسف للقومية الكردية....

وحينما كنا نرى مواقف اخواننا من العرب الشيعة المظلومين فهنا رأينا من الواجب أن نقارن مقارنة عميقة بين العرب الشيعة المظلومين والعرب السنة . فطيلة بقائنا في الجنوب سمعنا منهم عشرات المرات (لستم وحدكم مظلومين...؟)

صحيح، نحن وجدنا كل تلك الرفاة والملابس في صحارى الغربة... في الشنافية والحيدرية وظبي والسلمان.... لكن لم نكن وحيدين، هناك سؤال ينبغي ان لانعقل عنه ألا وهو ماذا نفعل لان لا تتكرر مثل هذه الصور ولا يبعد الحزام الكردي عن كردستان مئات الكيلومترات إلى الصحاري...؟ كيف يمكن أن نحمي شعبنا من عدم تكرار كوارث الأنفال ثانية...؟ وهل بقاؤنا مع العرب السنة في ساحة واحدة هو لعب بالنار؟

تحدثنا بصراحة مع اخواننا الشيعة في كثير من المسائل والأمور، وهم رأوا وعرفوا

مصائب وكوارث الشـــعب الكردي طيلة بقائنا في الجنوب فمرة واحدة ســـمعت من شاب شـــيعي يتحدث عكس كل الشـــيعة، كان هذا الشـــاب متخلفاً بحيـــث كان يعتبر كلمتي كردســـتان والفدرالية كفراً، وكان يعمل هذا الشـــاب مع مجموعة من أصدقائه بإصدار صحيفة، ولا أدري إن كان أقرانه يفكرون بمثل تفكيره أم «لا».

الصور المتبقية مع الشهداء

وجدنــا في جيب احدى الضحايا عدة صــور.... البعض منها تالف نهائياً، وصورتان اخريان يمكن مشاهدتهما وهما تتجهان نحو التلف أيضاً:

الصورة الأولى

صــورة طفلة صغـيرة تتأمل بعينيها الجميلتين هذه الدنيــا... ولا تتصور ان يجد احــدى في يوم من الأيــام صورتها في عمق الصحراء. الصورة تقــول لنا بأنها بنت أحد الضحايا حملها والدها معه في جيبه مع صور اخرى لتكون امام عينه دوماً.... نحن لا نعــرف هذه البنت الصغيرة أين تعيش؟ وهل مازالت تعيش؟ فقدت الحياة ؟ مؤنفلة ؟ ماذا حدث لها؟

لا نعرف سوى ان هذه الصورة... صورة طفلة كردية بريئة وجدت في جيب والدها أو أخيها المؤنفل في حدود (زاهر) ونحن نعيد الصورة إلى كردستان.

وطيلة تلك الفترة التي كانت معي تلك الصورة نظرت اليها مئات المرات. وكل مرة أنظر إليها لا أرفع نظري عنها حتى تتعب عيناي.

تحــت ثرى الصحــراء.... وبعد عدة ســنوات من بقــاء هذه الصــورة تحت تراب الصحراء.... فما زالت عينا الفتاة تلمعان وتتلألآن.... فهي تنظر إلى كل من ينظر اليها بعمق وامعان....

الصورة الثانية:

صورة رجل وعلى رأسه الياشماغ الكردي بشَدَتِهِ المعروفة «جاماني» وأتصور ان له لحية ســوداء، فهذه الصورة تالفة كثيراً... لكن الياشــماغ (الجاماني) ظاهر كما هو..... وحينما تمعن النظر بدقة في الصورة، تجزم انها صورة (مامة ريشة).

وجدنــا في جيــب أحد ضحايا مقــبرة (زاهر) هاتين الصورتين وعــدداً من الصور الأخرى الممسوحة تماماً.

الممكن أن تصير هذه الصور والساعات وثائق تقود صدام وزمرته* إلى محكمة دولية

وكذلك محاكمة الدول التي ســاعدت (البعث) في أداء جريمة (الجينوسايد) التي تدعو إلى محو الشــعب الكردي، واعتقد أن جراحـــات وآلام هاتين الصورتين خصوصاً صورة الطفلة آثارها أعمق من مقتل (محمد الدرة) الفلســطيني ، والمصيبة الكبرى.. لم تقم قناة تلفزيونية أو صحيفة اعلامية بالحديث عن مجازر الأنفال حينها وعن صورة هذه الفتاة.... أو أن تنقل لنا مقتل الطالب (محمد رؤوف) الذي استشهد في مدينة (شورش) اثر اطلاق النار عليه من قبل جلاوزة البعث من فوق تلال (باني مقان).

* * * *

(١) مامة ريشــة «البيشــمركة الملقب عند الأخوة العرب «بالرجل الحديدي» في فترة الثمانينيات وله ملاحم وبطولات حينها «المترجم».

وشــورش هي مدينة بل هي عبارة عن معســكر كبير بناه جلاوزة النظام لتجميع بقايا عوائل المؤنفلين وتجميع ما تبقى من مواطني القرى والأرياف الكردية المهدومة . حيث تعرض المدنيون الكرد إلى حملات (بارق عبدالله) و (على حسن المجيد) والمتهمين الأخرين ...

وبعض هؤلاء المدنيين المعتقلين شــملهم العفو في ١٩٨٨/٩/٤ وذلك بعد انتهاء من كل مراحل عمليات الأنفال .

و (محمد رؤوف) طالب عمره (١٤) سنة من سكنة (مجمع شورش) كان يدرس قرب بيتهــم ... ولكن في لحظة ســقط الكتاب من يده ... بعــد أن أصيب بعيارات نارية من قبل جنود البعث .

وتحدثت لنا أخت (محمد) والدموع تملأ عينيها عن حادث مقتل أخيها...

ذلــك الجندي الذي قتل «محمد» برصاصة كان معروفاً ولم يســأله أحد. والأكراد يعرفون ذلك الجندي، حيث قام بجريمته نتيجة نشــوة مســتهترة. وليجرب ســلاحه بواسطة اطلاق طلقة في جسد المسكين.

و (باني مقان) هي سلســلة من التلال تطل على (مدينة شورش و جمجمال) وكان جنود النظام لهم نقاط عسكرية فوق تلك التلال إلى يوم سقوط صدام. وكان الشخص

الذي احتفظ بتلك الصور في منطقة (زاهر) هو الشـاهد (صائب حسين جادري) وجد هــذه الصور عند (النهر الثالــث) المعروف بنهر (القائد) وقال: آمــل أن تجدوا عوائل الضحايا... ومن ثم يتســنى لكم معرفــة كل ضحايا هذه المقبرة الجماعية التي تقع في منطقة (٧٠) تلة. وأنا أعتقد انه توجد تحت كل تلة أعداد هائلة من الضحايا..

((السماوة ، صحف وتلفزيون السماوة، الناس هناك))

في البداية يجب أن نعلم انه ليست السماوة وحدها هي كل الجنوب في العراق ...

إذن فلماذا نتحدث عن السماوة فقط؟؟

وللأجابة عن هذا السؤال نستند إلى مجموعة من الاحصائيات داخل المحافظة «حيث توجد داخل المحافظة خمس مقابر جماعية كبيرة.. لحد الآن تم اكتشاف ثلاث منها فقط .

وأهالي السماوة يجزمون أنه توجد تحت ديارهم مقابر جماعية.. وكذلك في (السلمان) نقصد (قضاء السلمان) المعروف عند الكرا بـ(نقرة السلمان) فتوجد هناك خمس مقابر جماعية وفي ناحية «بوسية» توجد حوالي عشر مقابر جماعية للكرد . وسنتحدث في صفحات الكتاب القادمة عن (بوسية والسلمان) .... وفي الكثير من المناطق التابعة لمحافظة السماوة .. هناك مقابر جماعية مثلاً في (الوركاء) و (المشعل) وفي (شيحية) ومناطق متفرقة أخرى ...

لهذا السبب توقعنا كثيراً عند السماوة، والسماوة محافظة عراقية سُميت (بالمثنى) والمدينة تبعد عن الحدود السعودية حوالي ٣٥٠كم فقط ويرتبطون بصلة قرابة مع عوائل حدود السعودية. وعبر مراحل تأريخ الدولة العراقية كانت السماوة عبارة عن منفى لأولئك السياسيين الكرد عن كردستان الجنوبية المبعدين قسراً من قبل المركز. وهنا وجدنا منفياً كردياً من مدينة (خانقين) تم نفيه في فترة السبعينيات. (والسماويون كباقي العراقيين يحبون مدينتهم كثيراً) وهم يتباهون بعشائرهم وقبائلهم وعوائلهم وأغلبهم يذكرون ألقابهم في نهاية أسمائهم، والسماوة كبقية محافظات العراق اصابها الخراب والدمار ابان حكم البعث.

في أكثر من مكان تشم رائحة المدينة العفنة على الرغم من نظافة ونزاهة قاطنيها.

وأهل السماوة لطفاء ومرحون، وفتيات السماوة مثل بقية فتيات محافظات الجنوب

جميــلات وفارعات الطول، ويقولون «كانت الســماوة تحوي على أكثر عدد من اليهود. بين ســنوات ١٩٤٨ ـ ١٩٥١... أغلب هؤلاء اليهود تم ترحيلهم إلى فلســطين ـ اســرائيل. وحســب قول الأهالي.... مازالت هناك أراض وبســاتين لليهود في المدينة إلى هذا اليوم. ويهود السماوة مع باقي يهود العراق... تم أبعادهم إلى اسرائيل في سنة ١٩٤٨. والطاعنون في الســن من الســماويين يتحدثون عن علاقتهــم الودية مع اليهــود حينها .... وهم يقولــون: (لم يذكر أن حدثت أية مشــكلة بيننا وبين اليهود أبداً). وفي الســماوة يعز ويقــدر الغريب وبشــكل عام المدينة ســاكنة وهادئة ليلاً ونهــاراً بحيث كنا نتجول في شوارعها إلى ساعات متأخرة من الليل (١٠ ـ ١١) ليلاً

والســماوة مثل البصرة جوُّها حار.... لكن لياليها منعشــة إلى حدٍ ما.... تصدر في الســماوة صحيفة السماوة. وهي أسبوعية مستقلة ورئيس تحريرها (ناصح خرتوس) وهي صحيفة خبرية نقدية وجيدة من ثماني صفحات متوسطة الحجم وملونة وتطلب الصحيفة من الدوائر والجهات الرسمية المشاركة فيها....

وإن ما ادهشني في الصحيفة عدم وجود أية مقالة عن المقابر الجماعية على الرغم من أن مصدرها هم مجموعة من شباب المدينة ، هناك أيضاً (تلفزيون السماوة) ومديرها هــو المهندس (صبري عبدالخضر) ويدير التلفزيــون مجموعة من المصورين والفنيين الجيدين... وهم يهتمون بمشاكل المدينة من حيث الاعتماد والمشاكل والمعدات.

كان تلفزيون السماوة يقوم بعرض مشاهد للمقابر الجماعية هذا ما يثير انتباه الأهالي إليها ومتابعتها. وبشكل عام هناك حركة اعلامية وثقافية تتجه نحو الأحسن.

وتعرفنا على اثنين من هؤلاء وهما:

١ـ عدنان حسين طاهر (أبو قحطان)

وهو مســؤول اعلام محافظة الســماوة... رجل مثابر وكاتــب كذلك... كان معنا في رحلتنا إلى «بوسية» وهو يرغب في مساعدة كل من يبحث عن المقابر الجماعية هناك.

٢ـ أمين عاقولي (أمين محمد أميني)

يبلغ الخمسين أو أكثر من العمر... يعمل مع ابن أخيه مصوراً... وكان قديماً مصور

المحافظة أكثـــر أهالي المدينة يعرفونه.... وكان معنا بكامرتـــه الفديو.... وهو مصور ومنتاجي ماهر ويعمل في التلفزيون، كان أمين جندياً في جمجمال لعدة سنوات... وهو يحب الكرد....

وعندمـــا كنا في مقبرة (ظبي) الجماعية... شـــاهدته يبكـــي... وعاقولي أعلمنا عن اشياء كثيرة في السماوة.

في البدء تحدثت عن مدينة السماوة وأهلها ويسعدني هنا أن أقف عند عدة شخصيات أخرى.

١- ســـامي عزادة آل معجون (مسؤول إداري في السماوة) رجل ذو خبرة، هادئ، عاش سنوات في السعودية ولندن. عمل ضابطاً ومستشاراً قانونياً للملك السعودية لعدة سنوات ، قدرنا كثيراً ... وكل ما طلبنا. منه كان جوابه دوماً (على عيني) ... وهو يعتبر نفسه صديقاً للكرد وكان متألماً جداً لوجود المقابر الجماعية في حدود مدينته .... وهو أيضاً ذاق مرارة البعثيين ... قال لنا (طول وجودكم هنا فأنتم ضيوفي) وكان يتمنى حصول القوميات المتعايشـــة في العراق على حقوقهم العادلة. وفيما بعد صار هذا الرجل وزيراً في الحكومة الانتقالية .

٢- أبو ســـارة : مدير ماء ومجاري الســـماوة في البداية كان يعمل في مجال الصحة ثم صار مدير الهلال الأحمر / فرع السماوة ... وحصل على هذا المنصب بالاقتراع ... وهو رجل خلوق ونزيه، وسيرته مشرفة تأريخياً ... ووعدنا بالمساعدة انّى ماشئنا ذلك

٣- فراس عبدالمحسن: شاب يجيد الانكليزية يعمل مع كابتن (ماد) في الجيش الأمريكي ، قبلنـــا زار مقابر الكرد الجماعية في (ظبي) كان يكره البعثيين كثيراً... شـــاب وســـيم وحذر من اول نظرة تســـتلطفه... وكان متحمســـاً جداً أن تنشأ محكمة لمحاكمة مجرمي الحـــرب وتكون المحكمة دولية.... والمحاكمة علنية ومكشـــوفة، وعمل في الهلال الأحمر / فرع السماوة، وكان يقدم المساعدة للمنظمات الأجنبية التي تساعدهم في المنطقة.

وبشـــكل عام أهل الســـماوة متفتحون... ظرفاء ولطفاء... يســـمعون و يستمعون وهناك تحس انك في مدينتك فلا تشعر بالغربة أبداً سوى حر السماوة.

سراويل أهالي السماوة كردية

في مدينة السـماوة جذب انتباهي تلك السـراويل التـي كان يرتديها العمال هناك، ويطلقون عليها (سـروال) هي نفس الشـروال الكردي مع شيء من التغيير.... وعندما سألنا عن تأريخها... قالوا.... هذه من بقايا الجاليات اليهودية.

ونـريــد أن نقــول هنا قبل أن يصل الزي الكردي إلى السـماوة والسـلمان وعادن... وقبل أن يدفن الكردي في المقابر الجماعية... كان يوجد في هذه المدينة زي يشبه الزي الكردي.... وصحيح أننا بكينا كثيراً على ضحايانا ولكن كنا حينما نرى ذلك اللباس في الأسواق والمطاعم فذلك كان يفرحنا...

ومــن المعلوم للجميع أن الزي الكردي ممنوع الارتــداء في تركيا آنذاك... وكذلك في العراق لكن بشـكل آخر وبسياسـة أخرى... وهي بمنع ارتدائه في الجامعة والمدرسـة والدوائـر الحكومية. ولقد عملت القنــوات الاعلامية خصوصـاً (التلفزيون) باعطاء صورة غير لائقة لهذا الزيّ .... مما أدى أن لا يرتدي الكردي هذا اللباس إلا في المناسبات والأفراح .

وأرى أن البعــث لعــبَ دوراً هاماً في الاسـتهزاء بهذا الزيّ أمام أنظار الكرد أنفسـهم والعالم على العكس من الزيّ العربي المعروف الذي يلبسـه الملوك والرؤساء والوزراء في كل مكان وهم يفخرون به.

عشيرة آل زياد

توجد في السماوة عِدة عشائر منها «آل زياد، آل عبس، آل فليج، آل جشحم، آل عاجم، آل معجون، وابن حجيم.....الخ»

وال زياد واحدة من تلك العشائر الموجودة في السماوة والسلمان ومملحة ويوجد في كل قرية من قرى آل زياد «مضيف خاص وأهم ما تفتخر به هذه القبيلة هو إعالتهم لـ «تيمور»... رغم أن عدداً منهم قاموا بإيواء «تيمور» إلا أن كل العشيرة تتباهى بهذا العمل.

وحينما جلسنا في مضيف إحدى قرى هذه العشيرة وتسمى «آل عشيم» بدا لنا هذا بوضوح. يجب أن لا ننسى ان لهذه العشيرة خلافات مع عشائر اخرى... وهذه الخلافات موجودة في بين جميع عشائر العراق...

واغلب أعضاء العشيرة يشتغلون بالرعي وتربية الأغنام والتهريب (القجخجية) وسلك الشرطة، والمهربون بين السعودية والعراق هم وأيسر حالاً من البقية.

وفي العشيرة يوجد متعلمون ومسؤولون منهم (فارس الزيادي) هو مساعد المحافظ للشؤون الفنية . وهذا الرجل طلب من أبناء عشيرته أن يقدموا لنا العون...

وأهم خصائص هذه العشيرة معرفته المتميزة بالصحراء وشعابها ... وعدم أختلاط نسائهم مع الغرباء . فحتى في الصحراء كانت هناك خيام خاصة للنساء ... ونحن لاحظنا هذا في الصحراء حيث كان الرجل يتواجدون في خيمة ، والمراة في خيمة اخرى....

وفي سوق السماوة التقينا صدفة بأحد الشيوخ عرفنا الصديق (منيف كامل الزيادي) به ورحب الشيخ بنا بحرارة وطلب استضافتنا وهناك عاتب منيف كثيراً لأنه لم يأخذنا اليه لغرض أداء واجب الضيافة .

وهذا الكرم موجود في اغلب عشائر الجنوب فهم يكرمون الضيف كثيراً.

وكان آل زياد يفتخرون بايوانهم (تيمور) وهذا يعود إلى شجاعتهم وجراءتهم وعدم خوفهـم مـن أزلام النظام حينها. في الوقت الذي كان الآخرون يسـلمون الأبرياء لأزلام النظام .

وبشـكل عام... عشيرة آل زياد صغاراً وكباراً يحبون الضيوف ويكرمونهم... وكذلك فيهـم من لا يـؤدي لك خدمة إلا بمقابل. وفيهم من يسـاعدك ويريـد أن يقدم لك الدعم المالي مثل «منيف كامل» وبالرغم من تعاونه معنا كان يريد أن يقدم لنا دعماً مادياً.

ومـن أمثال منيف كذلك مثلاً (مالك خليفة)، حيث جاء إلى كركوك ليعطينا عدداً مـن هويـات الأحوال المدنية وأغراضـاً أخرى وهناك كان يريد أن يقدم لنا المسـاعدة ومالك هذا كان طالباً في السادس الابتدائي أثناء عمليات الأنفال... وكما يقول هو حيث رأى أغلب الكرد الذين دفنوا في الحفر (شـكلا مالك كبير السـن) ويتواصل بقوله: ومن ثم كنت أرى تلك السـيارات العائدة والمحملة بالجنود حينذاك عرفت بأن هؤلاء الكرد ذهبـوا بهم إلى الموت» ولدى أغلب رجـال الصحراء مثل هذه الحكايات والقصص ونحن ندونها بدقة كي تبقى في الذاكرة ولا تنسى أبداً.

ويجب على الكرد جميعاً أن يقدروا مواقف عشيرة «آل زياد» وذلك بسبب حفظهم وحمايتهم لتيمور... وبعملهم هذا أنقذوا من الموت أهم شاهد على عمليات الأنفال.

العائلة الثانية لتيمور عبدالله

قبــل الخــوض في قصــة «تيمور» أرى مــن الواجب التحــدث عن العائلــة الثانية لتيمور.

تلــك العائلة التي احتضنــت الطفل وصارت له أهلاً. حينــذاك كان عمر (تيمور) (٥ـ ٦) وكانت الســنة ١٩٨٨.. في احدى الليالي من تلك الســنة وفي أعماق الصحراء وعن طريــق المعجزة نجا (تيمور) من موت مؤكد حينما دفنوا كل تلك العوائل بعد رميهم في صحراء (ظبي)

تقع صحراء (ظبي) جنوب غربي الســلمان. وعلى بعد ٧٠كم عن الســلمان... ومن طريق آخر يبعد حوالي ١٦٠كم عن السماوة .

تقــع في عمق الصحراء على بعــد عدة كيلومترات عن الطريــق المبلط... يمكن أن نسميها طريق الموت وسيارات الموت تعبر من ذلك الطريق.

ويذكر لنا أحد الشــهود وهو (عبدالوالي) أنه رأى (١٢) ســيارة كبيرة وعشر سيارات صغيرة وكانت الســيارات الكبيرة من نوع (إيفا) وســيارات الحمل العسكرية والسيارات الأخــرى هي (لاندكروزات) وعائلة (عبدالوالي) مــع (٥) عوائل أخرى من آل زياد لم يكونوا بعيدين عن مكان الحادث.

وكانت تلك العوائل تقطن الخيام هناك... عندما رأوا الســيارات والشفلات تعبر من هناك وعلى بعد ٢٥كم وبعد الســاعة ٣ بعد الظهر ســمعوا أصوات اطلاقات... ولا أحد فيهم يعرف سبب الاطلاقات والرمي؟ ولماذا؟

وهم لم يريدوا أن يعرفوا السبب.. ففي ظل البعث وأثناء عهد صدام لم يحاول أحد معرفة أسرار البعث وأعماله لأنها معروفة.

كما قلنا بدأ الرمي عند الساعة (٣) بعد الظهر

وتيمور يبلغ مســاكن تلك العوائل عند الساعة ١٢ ليلاً أي بعد ٩ ساعات من الرمي.

علـــى الرغم من بعد المخيمات عن أماكـــن الرمي والاعدام ٣ كيلومترات أو أقل. وتيمور جريـــح بطلقـــة في صدره وكذلك جرح آخر في ظهره بســـبب (كيلة الشـــفل)وفي ظلام الليل يصل الطفل قرب خيمة وينادي ليســـمعوا، لنترك (غانم محمد الزيادي) يحدثنا عن ذلك، حيث يقول: (حينما ســـمعنا عواء الـــكلاب خرجنا من البيت وأتجهنا صوب العوي... عندها سمعت صوتاً ينادي (داية) ينادي ويبكي...

وعندمـــا توجهنـــا اليه. وجدنـــا طفلاً. أخرج خمســـة دنانير من جيبـــه... وقال (دكتور).

نحن فهمنا كلمة (دكتور) ، وعندما أدخلناه إلى الخيمة رأينا تغير لونه إذ سال منه دم كثير ..

والمشكلة لا توجد بيننا لغة تفاهم... ولكني التقطت كلمة (كلار، منه..

حينها عرفت بأنه (كردي) ومن (كلار)

فقلت له: (هنا ليس كلار بل سماوة)

فقمنا بتنظيفه من الدم واطعمناه ثم عاهدنا (الله) على أن نربي هذا الطفل لوجه الله ونحافظ عليه، حيث اجتمع كل رجال تلك الخيام الخمسة لمعالجة هذه القضية.

وكنـــا نعلم لو أن الحكومة عرفت بهذا الخبر ســـتقلعنا من الأعماق والجذور وأخيراً اتفقنا على أن نربي هذا الطفل ونحتفظ به (وليصير خلي يصير) فلم ننم تلك الليلة حتى الرابعة صباحاً، حيث أخذ (عبدالهيثم) الطفل وأبعده عشـــرات الكيلومترات عن مكان الحادث به إلى «العيشم».

في تلـــك القرية عملوا على تربيته ويقـــول: «في الحقيقة هو ابن كل قرية وهناك أسميناه (علي عبدالله) أو علي عبد، اشترينا له دشداشة وكل ماهو ضروري وداويناه إلى أن شـــفي ، وتعلم اللغة العربية ســـريعاً بحيث كل من يسمعه يجزم بأنه عربي، ويقول (حجـــي عبد) في ذلك اليوم أعطيتُ محمد ابني (٥٠) ديناراً كي يشـــتري له حوائجه... والآن لنذهب إلى تلك العجوز التي احتضنت تيمور وربته كأحد أبنائها.

عنـــد زيارتنا إلى هناك كانت هي مريضة ولم نســـتطع رؤيتهـــا، لكن رجال القرية

يقولون عنها: (إنها كانت تحب تيمور) كثيراً بحيث لو سمعت الآن بأسمه لغرقت البكاء عليه.... وأطفال القرية التي تربى فيها تيمور كانوا ينظرون الينا بامعان ودقة، لذلك التقطنا لهم عدة صور.

هــؤلاء لا يدركــون بأن آلاف الكرد مدفونون تحت رمــال الصحراء وفي الأعماق وما ادهشــنا أن جميع أهل القرية كانوا يفتخــرون لأيوائهم تيمور وكل منهم يتحدث عن بطولاتــه. الكل يفتخر بذلك وليس (٦ـ ٧)عوائل فقط وهنا من الضروري التحدث عن (عبد والي أو الحجي عبد)، هو من مواليد ســنة ١٩٠٧، رجل قوي وســليم البنية رغم الدخينه... لايعرف طعماً للراحة... وهو خبير في الصحراء وطرقها وشــعابها، ودون أن يمهلنا يأخذنا إلى المكان الذي نريده والعائلة الثانية لتيمور وكل أهالي السماوة يعتبرون نجاة تيمور بمثابة المعجزة. نجاة طفل بعمر (٥ـ ٦) سنوات وبتلك الجراح وفي الصحراء، حيث انه لو لم يمُت عطشاً.. لأكلته الذئاب، ولكن عاش ليكون شاهداً حياً على الجريمة وبقــي تيمور في أحضان عائلته الثانية أكثر من ٦ ســنوات... ثم عاد ليعيش إلى الأبد مع عائلته الأصلية.

عائلة تيمور وأقرباؤه

في «ظبي» دفنت عائلة تيمور وأغلب أقربائه ، هناك وجدنا عدة حفر. عدد الحفر التي زرناها نحن كانت ثلاث إلى أربع وكل واحدة على شكل مقبرة كبيرة طولها عشرة أمتار وعرضها ٢ ـ ٣ أمتار محفورة بواسطة الشفلات ، والمساحة الأجمالية لتلك المقابر حسب ظني تتراوح طولها بين ٤٤ ـ ٥٧ أمتار وعرضها ٣٠ ـ ٤٧ أمتار.

في تلك المقبرة وذلك المكان تم دفن اثنتين من أخوات تيمور ووالدته وجدته من أبيه... مع كثير من أقربائه مدفونون هناك في مقابر جماعية...

المكان الذي دفن فيه هؤلاء بعد رميهم هو مكان قحط وأرض جرداء لا ينبت فيها أي نوع من النبات... سوى نوع من نبات العاقول الذي اعتقده لا يحتاج أبداً إلى ماء.

ولو سرتَ لفترة طويلة هناك لما تجد أثراً للماء ، وكل شخص يترك هناك ، بعد عدة ساعات سيموت من العطش.

يوجد في ذلك المكان نوع من الزواحف يشبه السحالي وهي تغير لونها بتغيير الصحراء وهذه الزاحفة سريعة جداً بحيث تختفي عن الأنظار بسرعة فائقة، والعرب في الصحراء يأكلونها والزاحفة حينما تعتقد بأنها ستقع في قفص الصياد... تستلقي على ظهرها وتقوم بوضع يديها على رقبتها خوف الذبح.

وفي الصحراء ذئاب قوية نادراً ما يفوتها صيدها وعلى العموم: هذه صورة سريعة لذلك المكان الذي دفنت فيه عائلة تيمور وأهالي منطقة (گەرميان).

هؤلاء لم يسمعوا ولم يتخيلوا ولم يفكروا ولم يسمعوا بهذا المكان يوماً... وهذا المكان لم نسمع نحن به أيضاً فهو لا يوجد على الخريطة... هنالك دفن الضحايا الذين جاءوا بهم في تلك السيارات التي ذكرناها مسبقاً... وجاءوا بهم إلى هذه الحفر وصفوهم حولها ورموهم بالرصاص.

وهؤلاء مثل ضحايا (الحيدرية) كان مكان الرصاصة أو الطلقة في الراس، فالجلادون

كانـــوا يوجهون الرصاصة في الرأس والصدر وبعـــد اتمام عمليات الرمي يقومون بدفن الجرحى والموتى بملابســهم داخل تلك الشقوق والحفر يدفنون مع كل حوائجهم التي لم يستطع الأزلام من أخذها. هؤلاء تم رميهم في نفس اليوم الذي وصلوا فيه إلى عمق الصحراء، لأن أحدى الضحايا وقد تكون جدّة تيمور كانت تحمل في يدها كيس الدواء... وقمنا نحن بالاتيان ببعض الألبسة وملاعق حليب الأطفال التي جمعها الأخ منصور وأنا متاكـد بأن ضحايا «ظبي» أغلبهم يحملـون في جيوبهم هويات الأحوال المدنية وصوراً واشياء اخرى لأن الصداميين لم يخبروهم عن مكان الذهاب وأن إعدام هؤلاء تم بلجنة سريعة التنفيذ، دون أن تقوم بجمع أشياء وأغراض الضحايا.....

والدليـل على صدق قولي أننـــا نجد مع الضحايا صوراً وهويـــات وادوية... واغلب عمليات الاعدام... هنا وهناك نفذت على وجه الســرعة.. حسب كتاب (سري وعاجل) او (سري وفوري).

لذلك في جميع الأماكن تجد أغراض ومتعلقات الضحايا... ولا تجد في مقبرة (ظبي) الجماعية سوى رفاة الاطفال والنساء منهم عائلة تيمور ولا وجود لرفاة رجال وأعتقد ان الشـــباب والرجـــال دفنوا في مناطق أخـــرى مازالت مجهولة ، وحســـب أقوال تيمور للصحفي (كنعان مكية) وحســب أقوال الشـــهود الذين شاهدوا سيارات الجلادين... فإن الذين نفذوا هذه العملية هم من عناصر الأمن والاستخبارات... وإذا كان معهم أفراد من الجيش فهؤلاء تواجدوا للحماية فقط... أو في الأصل هؤلاء من الاســـتخبارات العسكرية التي نفذت تلك العمليات الاجرامية.

ومما يؤكد صدق أقوالنا ان أغلب وثائق عمليات الأنفال تم العثور عليها في المخابرات العســكرية وعلى الرغم من قلة الوثائق التي نســتند اليها الا انه يجب أن لا ننســى ان الجحافل الخفيفة «الجحوش» كان لهم دور بارز في مساعدة البعث للقبض على الضحايا وتسليمهم....

وسنتحدث عن أحد أولئك الجحوش الذي شاهد بأم عينيه عذابات المؤنفلين الا وهو (قاسم آغا) من كوية الذي قام بنقل المؤنفلين بين كوية ووادي باليسان فسلم المؤنفلين

كهدية للبعثيين ليحصل على نوط شجاعة.

وهذا نفس عمل المستشـــارين (الجحــوش) الآخـرين في المنطقة، دون أن يفكر هؤلاء الجحوش أن يتعرضوا إلى لعنة التأريخ في يوم من الأيام لكن هؤلاء الجحوش لم يشاركوا في عمليات الرمي والإعدام، فعملهم لم يخرج عن إطار تواجدهم.

قصة تيمور

تيمـــور عبدالله من أهالي بلدة (كولة جو) التابعة لمدينة كلار.. في كوارث عمليات الأنفال كان مع العوائل التي تم نفيها إلى أعماق الصحراء في الجنوب.

تيمور كان عمره حينها يتراوح بين (5ـ 6) سنوات لا أكثر... تم نقل تيمور إلى الموت على بعد مئات الكيلومترات عن أرض آبائه وأجداده مع اثنتين من أخواته ووالدته .

وقـــد تحدث تيمور عن رحلة الموت هـــذه . للكاتب (كنعان مكية) حيث تحدث عن كيفية الرمي وقيام الشفلات بدفن الضحايا بالتراب. وكيف يخرج تيمور بجراحاته من الحفرة... وكيف يرشـــده أحد سواق الشفلات إلى الطريق في الصحراء وحسب اعتقادي فقد تمت عمليات الرمي في وقت العصر وتمت عمليات الردم بواســـطة الشفلات قرابة المغرب وتيمور ينجو في الليل ولا يهمنا هنا الوقت بالساعات إنما يهمنا نجاة تيمور وفي تلـــك العمليات تم قتل مئات بل ألوف أطفال ودفنـــوا في الصحراء. لكن تيمور الوحيد الذي نجا فيهم ويروي تيمور:

حينما وقفت في حفرة.. شـــاهدت فتاة صغيرة على قيد الحياة.. طلبت منها أن نهرب سوياً لكن الفتاة كانت خائفة ولم تستطع كانت أصغر مني.

وأحــــداث وقائـــع قتل البعثيين والصداميـــين للأطفال الكرد ليســـت واقعة تيمور وعائلته فقط بل في وادي باليســـان وبادينان وحلبجة وأماكن كثيرة متفرقة أخرى... فعل البعث بالكرد ماشاء..

وتوجد في عمليات الأنفال أطفال رضع لم تتجاوز أعمارهم سنة واحدة.

ونذكر لكم هنا احداث قصة تيمور لتعرفوا كيف صار (سماوياً) من السماوة بعدما كان من مدينة (كولة جو)؟ وكيف صار عربياً بعد أن كان كردياً ! وكيف صار شـــيعياً بعد أن كان سنياً؟ وكيف بقي حياً ليكون شاهداً على الجريمة ؟ وكيف ذهب إلى أمريكا خوفاً من القتل والأغتيال؟

اعتقد بأن عدم توثيق قصة تيمور أو كتابتها على شكل فلم سينمائي يعود القصور والأهمال فيها إلى تيمور نفســه، وذلك لأن تيمور لم يعد إلى كردســتان ولو مرة واحدة بعد ذهابه إلى أمريكا... وكان يســتطيع التعاقد مع عدة مؤسسات لاخراج فلم من هذا القبيل.

واليــوم وبعــد أن وجدنا تلــك المقابر الجماعيــة التي دفنت فيهــا عائلة (تيمور) والآخرين .

فصحــة كلمات تيمور صــارت وثيقة للعالم أجمع وتوجد في تلــك المنطقة عدة قبور جماعية أخرى إضافة إلى تلك المقبرة. ولكل منها قصتها وأحداثها.

وقبيلة (آل زياد) حينما يتحدثون عن تيمور يتعجبون لذلك بسبب طفولة تيمور. كيف استطاع أن ينجو من قبضة أزلام النظام ويصل إلى المناطق المحررة في كردستان؟

إنه لم ينطق ولو بكلمة واحدة عن تلك العائلة التي أقامت على تربيته وصار إبناً لها....

واليوم ورغم تواجده في أمريكا إلا أن له علاقات صداقة مع شباب تلك القبيلة.

وتيمور أدرك لو أن جلاوزة النظام حينما عرفت بقصته وحماية تلك القبيلة له... لأصبح مصير تلك القبيلة كمصير عائلة تيمور والكثير من الشيوخ والعجائز عادوا من معتقلات (نقرة الســلمان) والســجون الأخرى. ليحدثونا عن قصص الأنفال إلا أن أحداً من أولئك لم يهرب من حفرة الموت كما نجا أو هرب تيمور.. وهذه المفارقة بين قصة اولائك وقصة تيمور والكارثة الكبرى في رأيي أن الكرد أنفســهم لم يعطوا قضية نجاة (تيمــور) أهميــة خاصة ولا تيمور يهتم بقضيته التي هــي في الأصل قضية كل الكرد يصــير كل هذا المكتوب والمنقول وثائق حية على الجريمة، فتيمور يخاف على نفســه وحياته.

فكل فلم أو لقاء مع تيمور ثروة وطنية لقضيتنا لها أهميتها الخاصة.

فظلم الحزب الحاكم (البعث) وقصص (المقابر الجماعية) وقصف عشــرات المناطق في كردســتان بأسلحة كيمياوية وبيع بنات ونساء الكرد في عهد النظام دلائل حية على ظلم البعثيين للكرد.

لا وجه مقارنة بين ما قام به (هتلر) مقارنة بظلم (الكرد)، فهتلر وظلمه لا يصل إلى درجـة واحدة في ظلـم البعث مع ذلك فقضية الأنفال قضيـة معتمة لا يدركها إلا قليل.

وكذلـك قصة تيمور لم تنل حجمها الحقيقي في العالم، ولا نجد في المكتبات العالمية أربعة كتب عن جريمة الأنفال.

والعجيـب أن الطفل الكردي تعلم منـذ الصغر من هو عباس بن فرناس؟ ومن هو القعقاع..؟ ومن هو هارون الرشـيد؟ ولكنه لايعرف الشـخصيات الكردية مثل الشـيخ سـعيد ثيران، فالكارثة ليسـت في إيصـال وقائع قصة تيمور إلى كل بيـت بل الكارثة والمصيبة الكبرى أن لا تعرف من هو تيمور؟ وماهي المقابر الجماعية ؟ وهل قصة نجاة تيمور من المقابر الجماعية حقيقية أم لا؟

في أغلب الأحيان يتم الحديث عن أهمال الكرد لأغلب قضايا المصيرية. وآلامه.

ولحد هذا اليوم لم نستطع أن نحدد أسباب هذا الأهمال.

أنا لا أعتقد أن العالم قرية صغيرة، فلو كانت كذلك لكان من الواجب ان يعرف كل الدنيا من هم (الكورد) وماهي الأنفال؟ وماهي حلبجة؟ وما تلك المقابر الجماعية التي دفـن فيها الكورد بهندامهم ولباسـهم؟ والعالم ليس قريـة صغيرة كما يدعون بل هو فوضى وبدون معنى كما يشـاهدها . فنحن نصـرخ بملء أفواهنا وهناك من يقول لنا من أنتم؟ وماذا تريدون؟ وهل أنتم موجودون أصلاً؟ هذا ما يجعلنا نشك في انسانيتنا؟ فلماذا هذا الاهمال للانسان؟ ففي القرية الصغيرة يجب أن لايخفى شيء؟ فنحن الكورد متواجـدون قبل آلاف السـنين على هذه الأرض... وعددنا يتجاوز (٥) ملايين إنسـان كوردي في العراق (عدا الدول الأخرى).

ولكنا ضائعون، ضائعون بذلك المعنى اي يجب أن يجدوا رفاتنا وأشلاءنا تحت أقدام غيرنـا في المقابـر الجماعية، ودوماً نحن الضحايا وفي أفضـل حالاتنا كنا مواطنين من الدرجة الثانية فإذا كان التعايش من أجمل سـمات العصر الحديث فنحن نخاف كثيراً جداً من هذا التعايش.

الصحراء تبلع الجميع

في الصحراء تشـعر بالخوف والضيق والإختنــاق وإذا لم تكن خائفاً من قبور الكرد الجماعية. فالصحراء لوحدها تخيفك.. وفي كل مكان تقف فيه هناك تشعر بأنه وسط ومركز الصحراء. ويراودك احساس أنك في بئر... في الصحراء وفي كل الاتجاهات لاترى سـوى السـماء. وأينما تقف هناك تشـعر بأنك صغير جداً. وكنا نرى أنفسنا أصغر من نقطة قلم. وكنا نشــك في وجودنا في بعض الأحيان وفي بعض الأحيان، كنت ابتعد عن أصحابي لأتعرف على مساحة الصحراء فحينها كنت على اعتقاد بأن الصحراء لها القدرة والقابلية على ابتلاع كل البشــر ولا تمتلئ.. هذا كان يذكرني بجهنم وجهنم حسـب الآيات القرآنية تقول: (هل من مزيد) فعندها عرفت لماذا اختار صدام الصحراء ليدفن فيها كل ضحاياه خصوصاً الكرد.

وهناك شـعرت بأنــه لامعنى لهذه الحياة لأن الصحراء تفقـد هذه المعاني فحينما تقول مثلاً (رحلة الألف ميل تبدأ بخطوة واحدة) كنت أدرك هناك لو قطعنا ألف ميل فمازلنا في نقطة الصفر.

لأن الطبيعة هناك على مدى نظر الإنسان هي صحراء في صحراء.

وهذا ما قاله لنا الحاج (عبدالوالي) فعندما دخلنا الطريق الترابي في الصحراء أشعل سـيكارة وقال: (الآن اصمتوا عن الكلام) وأحد الجالسـين في السيارة (اللاندكروز) قال: (لماذا أصمت)؟ فأجابه (لأن الصحراء خداعة وممكن أن تخدعنا).

هذا ما تسمعونه بأنفسكم فخبراء واختصاصيو الصحراء يخافون من الصحراء ان تخدعهم.

وأكثـر من مرة حاولت الصحـراء خداعنا ، فذات مرة قطعنــا أكثر من ٥٠ كم في الصحراء بعدها عرف الدليل بأن الطريق غير طريقنا، وثلاث مرات استسلمت سيارتنا لقـوة وعظمــة الصحــراء وكلما تواجدت فترة أطـول في الصحراء تحـس دوماً أنك في مصارعة الموت.

وفي الصحراء راحة ولا تفكير ولا تستطيع هناك التوقف والتأمل فيجب عليك السير دوماً .

وفي الصحـــراء لا يمكنـــك أن تتخذ قراراً. وصعوبة الصحـــراء اثبتت لي لماذا قاطنو الصحراء لا يسمعون اليك سوى قليل؟ ولماذا سكان الصحراء حينما يغضبون لا يهدءون ببساطة وسهولة ؟ وهذا الشيء انطبق علينا... هناك شعرت بأن القلب يدق بسرعة... كما احسســت أن كل واحد فينا يرى رايه صواباً فقط ولا يقبل الرأي الآخر. هناك كنا جميعاً نصب جـام غضبنا على الآخر. وهذا عكس الرأي القائل (عند الضيق والخوف يقترب الناس من بعضهم البعض).

ونحن على عكس (باولوكويلو) لم نكن نبحث عن البقاء في الصحراء.. بل كنا نبحث عن رفاة وجثث ضحايانا.

وكـــم من مرة قلنا بأننا ســنصبح نحن ايضاً ضحايا الصحـــراء. وحتى الضحكة في الصحراء خداعة.

وأنت في الصحراء تصبح مخادعاً. فمثلاً حينما كان يقل الماء الذي نحمله فكل واحد منا يريد أن يشـــرب كل ماء الجعبة ولا يفكر في صاحبه وعندما يقل الماء تشـــعر دوماً بالعطش. وتشرب الكثير من الماء وكأنك تريد أن تعيش فترة اطول.

وفي بعض الأحيان تســأل نفسك. لماذا هذه السعرة في شـــرب الماء؟ ولماذا هذا الشرب الكثير للماء؟ في الوقت الذي يجب أن نكون جميعاً مع بعض في الموت والحياة.

روى لـــي احد اصحابـــي قصة غريبة قال: (قبل أن نأتـــي إلى الصحراء حملت معي ثلاثة أرغفة خبز دون علم أصحابي وذلك لأعيش اكثر منهم) في الصحراء وصلت إلى تلك القناعة بأن عملي هذا غير مفيد؟

قتل الكرد ودفنهم هناك له علاقة بجميع الحالات التي ذكرتها..

فمثلاً خارج الصحراء إذا أردت أن تقتل شخصاً فمن الممكن التراجع في هذا القرار... فمثلاً لو كنت في ســـهل واردت قتل شخص فعند ســـماعك لصوت غزالة او تغريد طير قـــد تتراجع عن قـــرارك. او كنت في الجبل وتريد أن تقـــوم بنفس الفعلة، فمن الممكن

تراجعك إذا رايت وردة جميلة أو طلت عليك نسمة هواء عذبة . أو شاهدت صفوة ماء أو صوت ورقة شجرة . فهناك أشياء كثيرة تهدي الإنسان .

أمـا في الصحراء فلا وجود لشـيء يثنيك عن قرار القتل. ولا وجود لشـيء يوقظ الوجدان ويسألك (أين ضميرك) وفي الصحراء ما تقرره يجب أن تنفذه . وهذا ما أدركه البعث جيداً. كذلك أمروا باعدام الضحايا هناك .

والآن عرفتم لو أن أحد الضحايا استنجد سواء كان امرأة أو طفلاً أو شيخاً أستنجد بهم ليتركوه ماتركوه ولو ان الصحراء ستقتله وبهذه الأسطر لا أستطيع وصف الصحراء وغضبهـا. لذلـك أرى من الضروري ان تسـافر إلى الصحراء هناك لتتأكـد من أننا لم نستطع وصف الصحراء في هذه الوريقات .

ويمكن لك أن ترجع عشـرات المرات إلى الصحراء خصوصاً بعد أن تلاحمت عظامنا ورفاتنا ودماءنا مع رمال الصحراء.

ومع كل غضب وجبروت الصحراء لا يحق لنا معاداة الصحراء لأنها حفظت لنا رفاة شهدائنا على العكس من البعثيين الذين أرادوا أخفاء تلك الرفاة.

الوجه الآخر للصحراء

فيما سـبق تحدثنا كثيراً عن بعض الجوانب الظاهرية والشـكلية للصحراء . وهنا نتوقـف كي نتحـدث باختصار عن الوجه الداخلي أو أعماق الصحراء . قلب الصحراء ، دموع الصحراء.

حتى البحار على الرغم من جمالها وطبيعتها الخلابة وهدوئها. فتراها أحياناً تغضب وتثور من الداخل. ولكن هل الصحراء على نمط البحر ؟ وأحياناً نتحدث عن جهنم فلو نظرنا اليها نظرة شاعرية فحينما تبحث في جهنم عن الاختلاقات والغيبيات يمكنك أن تجد حتى في جهنم جماليات.

ولكن عندما نتحدث عنها دوماً نتذكر ونفكر في غضبها وحسيسها وكل ماهو قبيح. هكذا نتخيل جهنم؟ فكلما تذكرناها نتذكر الخوف والهول والعطش والكوارث..

وكذلـك حينمـا نتذكر الصحراء نتخيل كل ما قلناه عنهـا آنفاً ولكن لو نظرنا إلى الصحراء نظرة عطف ورحمة وتشـاهد الصحراء كأنها عجوز عمرها آلاف السـنوات... فكل أعضاء جسد الصحراء إذا تصورناها كجسد.. فحصى الجسد هرم.

وجلودهـا منشـقة، وتتخيلهـا كأنهـا متعبـة وتبحـث عـن لحظـة راحـة. فالصحراء تشـبه ذلك الشيخ الكردي الطاعن في السن الذي تم اعدام أبنائه أمام عينه. ومن ثم ترك هو ليموت في الصحراء. في ذلك المكان الخالي والقاحل. ولا تحتوي قطرة ماء أو عشب.

فواجب الصحراء التخلص من هذا الشيخ.

وحينما تتمعن في الصحراء بدقة، تحس أن الصحراء تبكي على نفسها بغزارة ولكن دون نزول دمعة واحدة، في اللحظة الأولى حينما تشـاهد الصحراء وكأنها منبوذة، عند ذاك تترحم عليها.

فنحـن نتعاطف مع الصحراء فتعاطفنا مع تلك الفتاة الصغيرة التي وردت في مكان

من هذه الدنيا وهي تنتظر لحظة ليرجموها بالحجارة.

والفرق الوحيد بين الصحراء وتلك الفتاة...

الصحراء لا تموت ولا تظل منبوذة، لكن تلك الصغيرة تموت وتقر عينها ولا تشعر بتلـك الأحجار التي تضرب بها وقد توصلـت إلى تلك القناعة بما أن للصحراء قلباً فلا يؤمن وجود الجمال فيها.

كنت أحياناً أحاور الصحراء مع نفسـي حيث كنت أسـمعها تقول لي ما في أعماقها وترجو منا أن نعمل على إعادة تلك الرفاة المدفونة في أعماقها إلى موطنها الأصلي وكنت أقول لها ان هذه الرفاة ضيوف عندك هذه الأيام.

وتقول لي (أنت لا تعلم كم يؤلمني وجودهم بهذا الشكل في أحشائي وأعماقي) وتعجبت من هذا الجواب حينما قال: (يستطيع الإنسان أن يعطي الصحراء شيئاً من الجمال!!)

حيث كان يقول: (فبدلاً من قتل وتعذيب الكرد واعدامهم من قبل صدام وزمرته . ماذا كان يجري لو عمروا الصحراء وزرعوها)؟؟

فطول فترة تواجدي في قضاء (السـلمان) لم أشـاهد شجرة عالية وقد أتصور أن لا تنمو فيها الأشـجار ويثير الاسـتغراب أن نعلم بأنه ليس هناك ترابط أو معاهدة بين الصحراء والبعثيين لذلك لايجب علينا أن ننظر إلى الصحراء كنظرة البعثيين.

فالصحراء تكاد تذوب وتحترق من الداخل على كل تلك المظالم التي ألحقت بالشعب الكردي وكل عربي يدركها، من مقابر جماعية وغيرها من ظلم البعثيين للكرد.

ومن فضل الصحراء علينا بعد حفظ رفاة أبنائنا في داخلها هو حفظها لتيمور فكل من يعرف بالصحراء لا يتصور أن يبقى طفل في مثل هذا العمر في الصحراء حياً.

خصوصاً في تلك الظروف والأثناء، حتى ان كان خبيراً عارفا بالصحراء.

وانا بأسـم الشعب الكردي اقدم شـكري وامتناني للصحراء التي حافظت على رفاة احبابنا وأعزائنا سنين طويلة.

أقدم اعتزازي إلى تلك الجهنم الذي أشـفقت علينا ونظرت نظرة رحمة لنا. ولكن وبكل أسف مازلنا نبحث عن جهنمات جديدة.

قلعة السلمان (قلعة موت الكرد)

المسـافة بين قضاء سلمان ومحافظة السماوة تبلغ حوالي ١٦٠كم .... والسلمان قضاء على حدود السـعودية يبلغ عدد عوائلها حوالي ٥٠٠ عائلة ويبلغ تعدادهم حوالي ٢٩٣٦ فرداً يوجد في (السلمان) سجنان كبيران ومخفر للشرطة.

وتوجد اليوم في المخفر عدة دوائر ومؤسسـات وتم بناء سجون (نقرة السلمان) بين سنوات ١٩٢٦ـ ١٩٢٨.

أما السجن الثاني فتم انجازه سنة ١٩٨١.

ومع نهاية البناء تم ملؤه بمواطنين الكرد.

وتتكـون عشـائر السـلمان مـن (آل زياد ، آل عيسـى ، آل عليج ، آل جشـعم ، آل عاجيم)

بشكل يتكون (السلمان) من هذه القبائل والعشائر..

وتوجد في (السـلمان) مدرسـة متوسـطة مختلطة واحدة بالاضافة إلى مدرستين ابتدائيتين.. واحدة للبنات والأخرى للصبية.

لا يوجـد في السـلمان تلفزيـون أو تليفـون.. وليـس فيهـا طبيب رغـم وجود مستوصف.

واغلب اهالي السلمان يعملون في سلك الشرطة. بعد تشكيل دولة العراق الجديدة.

وهذا السلك (الشرطة) تناقلوه بالوراثة من الآباء والأجداد منذ العهد الملكي.

ولا توجد فيها كهرباء بل يستخدمون المولدات... والقضاء بعيد عن جميع الخدمات.

يتبـع القضاء ناحية واحدة فقط وهي (بوسـية) ويوجد في (بوسـية) اكثر من (١٥) مقبرة جماعية.

ويقول مواطن فيهم (منذ أن أوجدنا الله نعمل في سلك الشرطة)

وقبـل زيارتنا القضاء. زرنا القلعة. وبُعـد القلعة ٥كم عن القضاء. والقلعة مبنية

علـــى مكان مرتفع على عكس القضاء الواقـــع في وادي منخفض لا يمكن لك رؤيته الا بعد أن تصل اليه.

وكلمـــا اقـــترب من القلعة زدت خوفـــاً وقلقاً انها قلعة كالعفاريـــت التي في القصص والحكايات الكردية وفي الصحراء..

على الرغم من أني لم أر (باســـتيل) لكنها كبيرة مثل قلعة (باستيل) وهي غليظة وقوية ومقفلة كالباستيل انها تشبه القلاع الشرقية التي تستعمل للقتال.

وبدأت بتصويرها عن بعد. وكلما اقتربت منها هي كبرت وأنت تصغر.

وقفت وسط الباب.. وقلت للأخ منصور أن يصورني. وأحسست بأنها (حوت) تريد أن تبلعني

إذن هذا المكان هو ذلك المكان الذي حدثنا عنه الشـــيوخ والعجائز الناجون منها من الكرد.

إذن هذا هو المكان الذي كلما تحدثنا عنه تقول نساؤنا المحتشمات بالسواد: (لا تذكر اسمها.. كي لا نتذكر الألم والعذاب والجوع والعطش والخوف..) فنحن نعرف الكثير والكثير من القصص والحكايات الواقعية المرة والمؤلمة عن هذا المكان ..

نعرف بأن هناك تم اغتصاب أكثر بنات الكرد الجميلات ومن ثم أعادوهن مجنونات إلى هذه القاعات وبعدها فقدن الحياة خجلاً. وتم رمي جثثهن للكلاب الســـود. وكتبوا على جثثهن (ماتت بسبب توقف الدورة الدموية).

وهناك الكثير من القصص الحية التي نفذها جلاوزة النظام ضد فتيات الكرد.

نحن الآن في (قلعة السلمان) أو (قلعة الموت) وتسع لأكثر من عشرة آلاف سجين وهي دائرية الشكل على هيئة قلعة (سوسي) ولكن أكبر منها.

وقلعة السلمان ذات طابقين فيها العشرات من القاعات والصالات والغرف.

وقبل الكتابة عنها أريد أن أبين لكم بأن القلعة مبنية بشكل لا يمكن لأحد الهروب والنجـــاة منها فهي مبنية على تلة عالية وتحيـــط بجهاتها الأربع صحراء قاحلة... ولا يمكن لك رؤية شـــيء آخر غير الصحراء وقبل الوصول إلى الســـور الضخم للقلعة كانت

هناك (أسـلاك شـائكة) كثيرة ، وتبعد الأسـلاك عن السـور حوالي ١٠٠متر وفي زوايا الأسلاك توجد نقاط أو غرف للحراسة.

وسور القلعة عالٍ جداً، ولها ثلاثة مداخل أو ابواب بحيث جميع انواع السيارات يمكن لها الدخول منها. وفوقها عشـرات من نقاط الحراسة وعندما تدخل السور تحس انك في جهنم حقيقية ولايمكن لك بساعات أو أيام أن تكتشف أسرار الغرف والقاعات الكثيرة.

وفي قناعتي قد تسـتطيع في ٤ أيام أن تكتشـف أكثر الأماكن والغرف، وعند دخولك اية غرفة تجد نوعين من الكتابة نوعا مليئا بالبراءة والمظلومية وآخر مليئ بالتهديد والوعيد الذي يعود بنا إلى زمن الخطيئة وان الإنسان متهم.

وتجولنا في عشـرات الغرف صعـوداً ونزولاً. وأحياناً ندخـل مداخل لامخرج منها فنضطر إلى العودة ثانية كنا ننظر إلى عظمة بناء تلك القلعة المبنية للأبرياء والعزل.

وهنـاك قاعات خاصة بالنسـاء وأخرى خاصة بالرجـال . والمراحيض موزعة بينهم وهناك اماكن تعذيب خاصة بالنساء وأخرى خاصة بالرجال.

(يـارب هذا جهنم). في مكان مكتوب عاش الشـعب ونحن نرى الشـعب مذبوحاً في أيدي جلادين .

ومكتوب «السلام لشـعبنا البطل» وهناك تراودني قصة عودة «عاصي» من الأسر ويريد أن يعرف مصير عائلته .

فتتم اجابته «زوجتـك وعائلتك وأطفالك فقدوا في عمليات الأنفال» وهناك أنواع الكتابات والشعارات منها استهزاء بالشعب الكردي وهذه الشعارات تحمل معاني التهديد والوعيد ضد شعبنا .

فالجـلادون منفذون كل ما قال القائد. قالوا (أمرك سـيدي أمرك سـنلعن سـلف سلفاهم) ولا ترى على الجدران فقط تهديداً للكرد بل شعارات تهدد كل العالم. فيهددون (اميريكا وبريطانيا وايران وإسرائيل).

وفي القلعة لا يمكن أن تجد صاحبك إلا بواسطة (النداء بصوت عال).

تلـك القلعـة مبنية من صخور كبـيرة جداً. ولها ثلاث بوابـات فدخلت من بوابة

وخرجت من الأخرى فأصبت بدوار بحيث لم أفرق بين الشــرق والغرب وبين الشــمال والجنوب..

وقد تحدث كل من «منيف والحاج عبد» عن القلعة وان أهل السلمان يسمونها قلعة «المليون» لأن تكاليف بنائها بلغت مليون دينار عراقي حينها أي ســنة ١٩٨١ وهذا المبلغ يعادل آنذاك «ثلاثة ملايين دولار» ونحن نتخيل بعض الناجين منها من أولئك الذين كان يحدثوننـــا دوماً عن تلك القلعة وعن الظلم والعذاب والاغتصاب والماء المالح والحار ونحـــن نتخيل أولئك الذيـــن ماتوا جوعاً هنا..، نتخيل ذلك الشـــيخ الذي حتى لحظة خروج روحه يتلفظ لفظة (لا آله إلا الله) والجلادون يضحكون حوله.

أو صـــورة تلك «الفتاة» التـــي قالت للجلادين «خاطـــر الله» وفي الجواب قالوا «الله مجاز» وقالت خاطر محمد «محمد بمكة» وأثناء أقوال منيف والحاج عبد فإذا بأرنب يركض بســـرعة. ولا أدري هل توجد أرانب في صحراء.. أم تواجدت بســـبب قربها من السلمان.

وحوت القلعة على البســة وأحذية تعود لنســـاء الكرد. وكل من «آريان ومنصور» كأنهم يعدّون الغرف والشبابيك بكثرة دورانهم...

وكانت هناك شـــجرة في تلـــك الغربة كأنها بقيت للذكرى. وذكرتني تلك الشـــجرة بأغنية (الشجرة الوحيـدة.

أخيراً تجمعنا للعودة... وقررنا أن نعود مرة ثانية ونمضي الليل هنا..

والأخ منصـــور قال لو عدت ســـأبقى ليلتين لأن منذ ســـنة ١٩٨١ - ١٩٩١ وهذه القلعة تحوي سجناء الكرد . ليلاً ونهاراً . إذن لماذا لا أبقى ليلتين.

ومن يدري لعلنا في الليل نسمع أصوات أرواح المؤنفلين ففي أثناء تجوالي في تلك الغرف كنت أقول في نفسي، الآن أو بعد حين سألتقي بأحد الضحايا ونحضن بعضنا بقوة.

وكلمـــا كنت وحيداً وأصمت للحظات هناك كنت اســـمع صراخ وادعية فتيات الكرد كنت اسمع بكاء طفل كوردي يطلب ثوباً للعيد ... أو لعبة للعيد وكنت أقول في النهاية (كلنا سنجن هنا) .

من السلمان إلى المقابر الجماعية

قلعة السـلمان مع ماتحمله هذه التسـمية من مصائب وآلام وجراح وويل ومع كل تلك الاستهزاءات والاستهتارات هناك بحق الشعب الكردي نستطيع أن نطلق على (قلعة السلمان) (محطة الأنتظار) قبل الموت.

فكل من اعتقل في القلعة. تم أعدامهم ورميهم بالرصاص على شكل دفعات متتالية. ثم دفنوا في مقابر جماعية في الصحراء.

وكل من وصل هناك في أي وقت وزمان كان يقول (المكان لم يكن خالياً... وكان قبلنا آخرون معتقلين في هذه السجون).

ولأنـي صحفي وقمت بعـدة لقاءات مع عدد من المؤنفلين العائدين من السـلمان.. فدوماً سـمعت منهم هـذه الأجابة وهي (حينما وصلنا إلى القلعـة والمعتقل وجدنا في السجون ملابس وطعام وأشياء تعود لمعتقلين آخرين قبلنا).

ومـن هنا وصلنا إلى تلك القناعة بأن هؤلاء المعتقلين كانوا في محطة بانتظار الموت والبعض الذي تم العفو عنه فكانوا طاعنين في السـن.. وقد يكون العفو عن هؤلاء من أكـبر أخطاء النظـام وجهله . وهؤلاء العائدون تحدثوا لنا عـن هذه المحطة والناجون من محطة الموت (السـلمان) قد يكونون نجوا بصدفة (وهذه الزيادة في أعمارهم) ومع الأسف كثير من هؤلاء العائدين ماتوا بعد أيام من عودتهم لما لاقوه من مصائب وأمراض هناك....

والناجـون تحدثوا لنا عن ما لاقوه من العذاب وكيف كان يموت منهم يومياً أعداد كبيرة.... ولكن وللأسف ليست لدينا أحصائية عن تلك الأعداد التي ماتت هناك.

وتحدث لنا أحد المؤنفلين العائدين من نقرة السـلمان وهو يقطن «مدينة شورش» وفي محلة (بيريادي) وبقى هناك حوالي (٦) أشـهر حيث قال: دوّنا أسـماء ١٣٦٠ ضحية

ماتوا هناك . مع تدوين أعمار الضحايا..

لكــن بعد خروجه من المعتقل قام أحد (الفرســان) (الجحــوش) بتهديده.. إذا لم يعطه هذه القوائم والأســماء المســجلة.. سيقوم بتسليمه إلى ســلطات الأمن وخوفاً من التهديد أعطاه القائمة.

وقد حصلنا نحن على قائمة لـ (٩٣) اسماً ماتوا هناك تحت التعذيب والعطش والجوع والحر الشديد وقد كتب في السجل بأنهم (توفوا بسبب توقف الدورة الدموية).

وهــذه القائمة بــ (٩٣) غيض من فيض مــن الضحايا الذين توفــوا هناك وبعض الضحايا تمت عليهم تجارب مختبرية.. أو ماتوا لأســباب أخرى لانعرفها نحن وفي تلك المعتقلات بين فترة وأخرى كانوا يســحبون من هؤلاء المعتقلين الدماء لأســباب واهية فمرة لجرحى فلسطين ومرة أخرى لجرحى الحرب العراقية الايرانية التي دامت أكثر من ثمانية أعوام... ألخ وأغلب العائدين من محطة انتظار الموت لم يتصوروا أن يعودوا وينجوا رغم أنهم كانوا في المعتقلات ســوية. حيث كانت لغة التسامح والرأفة والشفقة سمة تعم معاملتهم اليومية لأنهم في انتظار الموت.

وذات مرة حصلت منظمة (هيومان رايتس ووج) على جواب لأحد المؤنفلين بالشكل الآتي (تلك كانت جهنم التي رأيناها) فلهذا الجواب عدة أوجه.

فوجهه الداخلي عبارة عن عودة ونجاة عدد من المؤنفلين المساقين إلى حفر الموت.

أحــد العائدين يقول (عندمــا أرادوا أن يفرقوا طفلي عني فأنــا وبناتي وأطفالي الآخرين رمينا أنفســنا على الطفل كي لا يأخذوه) ولكنهم اخذوه... وبعدها ما رايت ابني أبداً. بعد بقائنا في القلعة. كانوا يومياً يأخذون أعداداً إلى تلك المقابر وقد استمرت هذه الحالة من الإعدامات اليومية ضد المؤنفلين خمســة أشهر . حيث بدأت من الشهر الرابع وانتهت في الشــهر التاســع من ســنة ١٩٨٨ ومن ثم يملؤون القلعة يأتون بهم من كركوك من سجون (دبس وطوبزاوة وأماكن اخرى) .

وكان في تلك الفترة جلاد وهو وحش القلعة يدعى (عجاج) وكل العائدين من الكرد حينما يذكرون (عجاج أو حجاج) يذكرونه مع كلابه السود فالعائدون يقولون (حجاج

«عجاج»والكلب الأسود) وهذا الرجل يحب التعذيب والقتل وإراقة الدماء وكان يعدم فردياً وجماعياً يومياً.

وكانت لعجاج حفر خاصة قريبة لرمي الضحايا وأغلب تلك المقابر والحفر موجودة في (السماوة والبوسية والسلمان) وكل هذه المقابر ترتبط بالقلعة لأنهم أخذوا من هناك وكل الروايات تثبت صحة ذلك..

فبعض من اخواننا العرب كانوا يقولون لنا (لاطائل من البحث عن المقابر في أماكن أخرى) وكنا دائماً نصل إلى تلك القناعة بأن جميع الكرد مدفونون هنا من البارزانيين والفيليين والمؤنفلين ولكن حينما كنا نجد ضحايا وقبوراً في مناطق متفرقة أخرى . فعندها نقول بأن هناك محطات أخرى لانتظار الموت عدا محطة قلعة السلمان وأنواع الطرق المستخدمة في قتل الضحايا ونوعية السلاح والعملية وكيفية أخذ الضحايا وواسطة النقل واعداد الجلادين ومعلومات كثيرة أخرى لها علاقة بتأسيس محكمة خاصة.. تحكم وتحاكم المجرمين وتستطيع تلك المحكمة أن تضع كثيراً تحت المساءلة ممن لهم علاقة بعمليات الأنفال ونحن نعرف فقط أنهم أخذوا من قلعة السلمان إلى مقابر الموت. ولا ندري ماذا حصل قبل وبعد ذلك.

فهناك من الأسئلة بحاجة إلى أجوبة حقيقية وصحيحة ولا يمكن أن تبقى تلك الأسئلة نهائياً بدون أجوبة أو تكون معلقة إلى الأبد في الوقت الذي يريد فيه أصحاب القرار من ساستنا أن يحتفظوا بهويتهم العراقية فبقاؤهم كعراقيين يوجب عليهم حتمية الأجابة عن كل تلك الأسئلة.

فالمجتمع العراقي قادر على اعادة صدام آخر وينتج حزب بعث آخر فلو أننا قرأنا كتابات الأستاذ (على الوردي) فبدون أدنى شك سنقول (نعم). المجتمع العراقي قادر على انتاج صدام وبعث آخر.

إذن من حق الشعب الكردي أن يخاف من التعايش وهذا السؤال يطرح نفسه عدة مرات على صفحات هذا الكتاب.

على جدران قلعة السلمان، منقوش عليها/سنين وتأريخ

من الأشياء الهامة التي توقفنا عندها كثيراً هي تلك الذكريات المكتوبة على جدران السجون ، مع علمنا ان أكثر المؤنفلين في تلك السجون كانوا لا يجيدون القراءة والكتابة، مــع ذلك يمكن أن نرى ونلاحظ كتابات لذكريات أيام المعتقل على الجدران. وللتعرف على كل تلك الكتابات في كل المعتقلات يحتاج المرء إلى عدة أشهر يبقى هناك كي يجمع كل تلــك الذكريــات . وهذا العمل بحاجة إلى جهد وتعب كبــير ومتواصل وتحت كلمة (ذكرى) المنقوشة على جدار احد المعتقلات وهي منقوشة كالآتي:

١٩٨١/١٠

١٩٨٢/١٢/٦

١٩٨٣/١٢/٩

١٩٨٤/٨/

١٩٨٥/٨/

١٩٨٦/٧/

١٩٨٨/٤

١٩٨٩/٩/٥

١٩٩٠/١

ودوّنت سنة أخرى مرتين. عدا سنة ١٩٨٨ وفي الحقيقة لم استطع معرفة تلك السنة المدونة مرتين.

وأحد أصدقائي من الجنود الكرد المشاركين في حرب الكويت قال لي: (في عادن هناك كتابات وذكريات كثيرة منقوشة على الجدران.. باللغة الكردية).

وقــد دوّنت فتاة كردية مايأتي (نحن موقوفــون ولا ندري مصيرنا غداً) ونحن لم نســتطع الوصول إلى (عادن) بسبب الحر الشديد وعدة أســباب أخرى ، واغلبية سكان

المنطقة هناك قالوا لنا لمثل هذا العمل يجب أن تستخدموا طائرة (هليكوبتر).

وفي مرات قادمة نستطيع أن ندوّن كل الذكريات ونرسمها بواسطة (هيلكار) قديم، ويجب أن نحافظ على كل تلك الصور ويشاهدها الأبناء لتبقى في أذهانهم إلى الأبد.

يا ترى كيف كان حال ذلك الشخص الذي انتظر كل تلك السنوات المدونة آنفاً؟

بماذا كان يشد عزمه؟ كيف انتظر كل تلك السنين؟ بماذا كان يفرح نفسه بالخروج من السجن؟ كيف كتب كل تلك السنوات؟

كل هـذا لـه دلالات عميقة لنا. فكـم انتظر هذا الرجل لينعـم بالحرية؟ ويطير بجناحين منها؟

ويجب ان اقول في كل عوائق سـجون السلمان وأمام كل تلك الشعارات البراقة للبعث وعنـد قـراءة ذكريات المؤنفلين في الصحـراء وداخل القلعة، في كل هذا كنت شـاكاً أنا بهويتي العراقية وانتمائي للعراق..

فأنا منذ سنة ١٩٨٨ جنسيتي العراقية تعرف بالأنفال والكيمياوي، إذن فلماذا هذه المعركة من أجل عراقيتنا؟

وأنـا لم اكن عراقياً أبداً .. فبالقـوة الصقوني بهذا العراق وتحت مظلة هذا العراق فقدت هويتي .

توجد في مئات الأماكن أسـماء مدوّنة على الجدران . فمثلاً هناك أسم (احمد غلام كردي) قد يكون هذا المسـكين من الكرد الفيليين، دوّن أسـمه مرتين مرة بالكردية ومرة احمد غلام كردي وبخط مترنح.

وهناك أسماء كثيرة مكتوبة هنا وهناك وفي زاوية مكتوبة (آخ يادنيا).. وأنا في رأيي هذه الـ(آخ دنيا) تختلف عن المئات من (آخات الدنيا) الأخرى... لأن هذه تحمل معاني كثيرة وكبيرة فهذا السجين كان أمام دنيا صماء وخرساء وعمياء.

هـذه الدنيا التي لاتسـمع أنين وصـراخ قومية مظلومة منـذ تواجدها على هذه الأرض تنال الظلم والاضطهاد . ويجب علينا جميعاً أن نتضامن نحن الكورد مع صوت ذلك السـجين الذي لايدري أهله مصيره وفي أية مقبرة جماعية تم دفن أشلائه. ويجب

ان نبصق على هذه الدنيا التي تستحق منا البصاق.

ونحن لا نبقى كثيراً هنا كي نجمع كل تلك الكتابات مجموعة سميت أو أطلقت على نفسها (زيارة جهنم).

ذهبت إلى هناك، وقد استمعت اليهم وقرأت تدويناتهم على أوراق الصحف، وكان من المقرر أن أكون أنا معهم في تلك الرحلة لكن وفاة (والدي) حالت دون ذلك، ويجدر بي هنا التحدث عن وفاة والدي.

ومجموعة (زيارة جهنم) حينما عادت من قلعة سلمان قالوا لنا كان مكتوباً على جدران إحدى الزنزانات الشعر الآتي بالكردية:

ذات مرة مررت بمقبرة

سمعت بأذني حرارة بكاء

رأيت عظمة تحت الثرى... تقول....

اين لذة هذه الدنيا....؟

وحينما تذهب أنت إلى هناك تشاهد وترى كل الكرد معلقين على جدران قلعة السلمان. فإذا كانت مدن السليمانية وكركوك وهولير جزءا مهماً من تأريخنا. فكذلك قضاء السلمان. جزء من هذا التأريخ. فجدران قلعة السلمان (صحف لهذا التأريخ... ذلك التأريخ الذي يجب أن لا ننساه أبداً).

كلاب الصحراء السوداء

كل العائديـــن من نقرة الســلمان تحدثوا عن الكلاب الســود في الصحراء ... ونحن حينمـــا رجعنـــا من الصحراء تحدثنا عن تلك الكلاب الســود أو الكلب الأســود . وهذه الكلاب تحدث عنها شيوخ وعجائز الكرد العائدون من نقرة السلمان.

وهذه الكلاب هي أفضل وأعز أصدقاء (عجاج أو حجاج) وكانت الكلاب متعاقدة مع جلادي البعث في عمل مشترك...

ولكن بوجبات متتالية ومتعاقبة..

فالمعتقلون حينما كانوا على قيد الحياة كانوا يصرخون ويعذبون ويتألمون بضربات (عجاج) والجلادين.

وحينمـــا كانوا يفارقون الحياة كان يأتي دور تلك الكلاب لتنتشـــل من جســـد تلك الجثة .. ولا تتركوها ترتاح حتى في موتها...

والمعاهدة أو البروتوكول الموقع بين العجاج والكلاب الســود هي الاســتهزاء والاهانة والاســتهتار بالشــخصية الكردية في حياتها وبعد موتها هناك في الصحراء كل الكلاب أو أغلبها سوداء، انا لا أعرف هل الطبيعة صبعتها بهذا اللون؟ أم كارثة الأنفال خلقت هذا الشيء بين العجاج والكلاب السوداء.

وهناك أســطورة تقول: (من ذلك اليوم الذي اتهم فيه الذئب بأكل يوسف. فالذئاب حرمت على نفسها أكل لحوم البشر).

أما اسطورة الأنفال فتقول: (من ذلك اليوم الذي أبرمت فيه الاتفاقية بين العجاج والكلاب السود بالتوقيع على قتل الكرد. فالله تعالى جعل كل الكلاب سوداء).

والأسطورة تقول أيضاً: (إنها أدعية النساء وعجائز الكرد التي فعلتها وجعلت الكلاب سوداء)

ولكن الله تعالى وقف مندهشاً ينظر إلى كلتا يديه اللتين خلقتا عجاج المجرم. وتوقف

الباري يراجع قوله الذي يقول: (لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم)*

تقول العجوز (مهروبة يوسف) التي تسكن مدينة (شورش) وكانت معتقلة في نقرة السلمان كانوا لايعطوننا أي شيء، لاخبز ولا ماء. وكل يوم يموت منا أكثر من عشرين شخصاً لتصبح وجبة شهية للكلاب السوداء.

ولقد تحدث عن الكلب الأسـود كل العائدين من (السـلمان) وكان الجميع يشاهدون عظام ولحوم الضحايا في فم الكلاب

وتقول (سـلمى عزيز بابا) (شـاهدت جثة ابني في فم وتحت أنياب الكلب الأسـود وكانوا لا يسمحون لنا بدفن الضحايا لتأكلها الكلاب.

وأخيراً وفي النهاية سـمحوا لنا بدفن الضحايا.. ولكن كان يجب علينا دفنها في مكان خاص لا يسـاعد علـى الحفر لأن كلما قمنا بحفرها فهي تنهمـر ثانية.. وأخيراً كانت الكلاب تنال من الجثة.. لأن المكان كان غير صالح للدفن).

ونحن في السـلمان شاهدنا تلك الكلاب السـوداء. غامقة في السواد وأتصور ان تكون طبيعة المنطقة تسـاعد على ذلك فليسـت هناك علاقة بين قصة يوسف والذئاب التي طوقت بأطواق سـوداء على رقابها. في الحقيقة ما كرهت يوماً من الأيام الكلاب أبداً.. حتى عند سـماعي لقصص تلك الكلاب من نسـاء مدينة شـورش العائدات من سجون نقرة السـلمان ولكن عند مشـاهدتي تلك الكلاب هناك فقد كرهـت الكلاب كثيراً ولا أدري لماذا قمت في منطقة (بوسـية) برمي كلب اسود بالحجارة. وعلى مرأى من الناس لا أدري.

ثورة الرمال

توقفنـــا كثيراً عند الصحراء. فتحدثنا عــن فحل الصحراء وغضب الصحراء.. وعن قلب الصحراء. وأشياء كثيرة أخرى. في اليوم الذي قررنا فيه الرحلة إلى (بوسية) فقالوا لنا بعد الخروج من (السلمان) يجب أن نسير مسافة أكثر من (١٠٠) كم في عمق الصحراء وفي طريق من الرمال ورافقنا في تلك الرحلة رجل كردي هادئ الطبع وموزون جداً ألا وهو الدكتور (محمد أحســان) وزير حقوق الإنسان في (هولير) وهو حاصل على شهادة الدكتوراه في السياسة الدولية..

وكان يبحث عن رفاة الضحايا من الكرد البارزانيين الذين أبادتهم الحكومة العراقية بثلاث مراحل في سنة ١٩٨٣.

حيث اعتقلوا جميع رجال (قوشــتبة وحريــر وديانة وبحركة) ودفنوهم في حفر الموت (المقابر الجماعية).

وكان الدكتـــور من خلال كلامه حاملاً هموم حقوق الإنســان عموماً وكان متأثراً جداً بعمليات الأنفال الوحشية.... وقبل ان اتكلم اكثر عن الدكتور (محمد) ومصائبنا يجــب أن نتطرق إلى أنفال البارزانيين قليلاً. فالبارزانيون بعد ثورة أيلول تم حجزهم في مجمعات... ويمكن أن نسمي تلك المجمعات بالمجمعات القسرية.

حيــث قامت قــوات الحرس الوطني البعثي بمحاصرة مدينة (قوشــتبة) من أربع جهات وفي ٣١ تموز ســنة ١٩٨٣ اعتقلوا كل الذكور الذين تتراوح أعمارهم بين (١٢ ـ ٧٠) ســنة أخذوهــم إلى أخاديد الموت وفي يوم ١٠/آب/١٩٨٣ تمــت محاصرة المجمعات الثلاثة الأخرى فاعتقلوا الجميع .

وفي الأول من تشرين الثاني سنة ١٩٨٣ قاموا بتفتيش منظم ودقيق أكثر من الأول وتــم اعتقال ما تبقى من ذكور المجمعات الأربعــة الأخرى .. وقتلهم ودفنهم في مقابر جماعية.

واعتقد انه أن البارزانيين مدفونون في (بوسية) فبعض من الشهود أكدوا لنا ذلك.

ولا أعتقد تم الذهاب بهم إلى نقرة السلمان. لأن ليست هناك أدلة على ذلك أو تم قتلهم بعد المجيء بهم من (قوشتبة).

والدكتور (محمد) كان هناك خصيصاً لمعرفة مصير البارزانيين وكنا مسرورين بتواجد رجل مثل شخصية الدكتور خصوصاً بعد أن اتفقنا على توحيد العمل والجهود.. وقد شجعنا وشكرنا كثيراً على مجهودنا نحن في وزارة حقوق الإنسان في السليمانية.

وذات مرة قال لي: (أنا أحب كل صحفي نشط مثلك وأتمنى أن أراك لاحقاً)

وفي طريقنا إلى (بوسية) زرنا مرة أخرى المقابر الجماعية في (ضبي) الذي ضم رفاة عائلة (تيمور) وتوجهنا إلى (السلمان) ثم وصلنا إلى (بوسية).

وقد ضمت رحلتنا ثلاث سيارات... اثنتان من نوعية اللاندكروز وأخرى سيارة بيك أب دبل وقبل خروجنا عن الشارع الرئيس بين السلمان وبوسية تعطلت سيارتنا اللاندكروز.. فاضطررنا أنا وكاك منصور في الاستمرار لأداء مهمتنا أن نصعد خلف السيارة البيك أب ومن هنا بدأت ثورة الرمال.... فقمنا بشد أعيننا لأكثر من ١٠٠ كم في وسط الصحراء... مع أمواج الرمال المتصاعدة ولهيب حرارة الصحراء.. وعرقلات سيارة البيك أب...كنا في معركة مع هذه الأجواء إلى اللحظة التي شارفت السيارة على الاحتراق... وكادت الرمال أن تتيهنا في أعماق الصحراء..

وأكثر من مرة كدنا نتيه في الصحراء لأن الرمال المتصاعدة أظلتنا فأكثر من عشر مرات دارت معنا هذه الدائرة.. وتركنا صديقاً مع سيارتنا العاطلة.

وعندما رجعنا عند الغروب.. وجدنا صديقنا عند السيارة العاطلة.. فقمنا بسحب السيارة العاطلة بواسطة سيارة الدكتور (محمد) إلى السلمان. اكرر مرة ثانية أن الدكتور (محمد) رجل فريد من نوعه لأنه كان يراعينا حتى عند شربه الماء... وأنت في الصحراء يجب عليك ادراك ذلك .

العويليون

تحدثنا كثيراً في الطريق عن الصحراء والحياة فيها وكوارث الصحراء.

وعلى جدران قلعة السلمان مكتوب (أهلا بكم في جهنم).

في ذلك المكان يجب علينا أن ننطق دوماً هذه الجملة. وشاهدنا في الصحراء فتيات جميلات فارعات الطول سود العيون. وتتواجد في الصحراء قبيلة (العويلية) بين بوسية والسلمان... وكلما تحدثت عنهم تذكرت (الهنود الحمر) أولئك الذين حاولوا كثيراً بقاء بيئتهم نظيفة وجميلة. فهم قاتلوا في سبيل ذلك على مر التأريخ.

ولكن في النهاية توصل الامريكيون الجدد إلى كل مكان من هذا العالم.. حتى صعدوا إلى السماء.

حينما كنا نعبر الأماكن التي يتواجد فيها (العويليون) ولا أدري من أين أتت هذه التسمية.. هل من رقصات الهنود الحمر؟ في الطريق كنت أتخيل تخيلات عجيبة وغريبة كنت أتمنى حينها ان يخطفوني.. حيث كان أصدقائي يتحدثون عن عمليات السطو والنهب لهؤلاء... وكانوا يقولون عنهم (ان الحكومة لا تقدر عليهم حينها وأصدقائي العرب كانوا يخافون أكثر منا من أولئك).

فهم يتحدثون عن شجاعة هؤلاء في القتال وفي مقارعة الصحراء.... وأنا كصحفي كنت أتمنى أن يخطفونا.

كنت أريد أن أعرف المزيد عن حياتهم وطريقة عيشهم وحياتهم.. عن معاملاتهم وعن اخلاقهم كنت أتمنى أن أرى نساءهم هل هن جميلات أم لا؟

كانت سيارتنا سريعة جداً وذلك خوفاً من العويليين وعيناي دائماً تنظر إلى الطريق.

وأخيراً كنا محظوظين لأنهم لم يعترضوا طريقنا. والعويليون جزء من عشيرة الجبور الكبيرة وينتمون إلى المذهب الشيعي.

الصحراء .. مزرعة زهور النرجس ..

قبل سـنة أو سـنتين من كتابة هـذه الذكريات المرة كتبت قصـة حينها وصورت الصحـراء بأنها مزرعة زهور النرجس لوجود رفاة الضحايا فيها وكنت سـعيداً حينها بهذه القصة..

وأنا في الصحراء تذكرت واقع تلك القصة ومشاهدها وفكرت فيها بامعان.

وفي الصحراء كان حدسـي يخاطبني. الآن أو بعد قليل ستخرج زهرة النرجس من مكان ما في هذه الصحراء وكنت أبحث شـيئاً فشـيئاً عن النرجس.. وأثناء البحث كنت أتصور نفسـي مجنوناً وأحياناً كنت أجيب نفسـي بشاعرية.. قد يأتي ذلك اليوم الذي تزرع فيه الصحراء بزهور النرجس...

وزهـور نرجس الصحراء هم كل أولئك الذين أرغموا على طمس هويتهم العراقية في الصحراء وهم من البشر المنتمين إلى هذه الإنسانية..

وحينما أترك تلك التخيلات. وأرى رفاة الضحايا وأتذكر جنسيتهم... فأقول حينها: (يجـب علينا نحـن أن نتبرا من عراقيتنا. ولايمكن لنا أن نلتزم بالعراق أبداً.. فالهوية العراقيـة عبارة عـن كذبة ولعبة كبيرة لا غير . هذه الهوية التي أصدر قانونها في ٢٣/ آب/١٩٢٢ ومن يومها يتم قتل وسحق واعدام الكرد تحت مسميات وهمية، إذن العراقية؟ للأكراد هي كذبة وخدعة فقط.

في هذه الأثناء وأنا مشـغول بكتابة هذه الأسـطر وهويتي الشخصية مكتوب عليها صادرة بموجب قانون الأحوال المدنية رقم ٦٥ لسنة ١٩٧٢.

وفي الأعلى مكتـوب (جمهورية العراق) وكل هذه الكتابات عبارة عن أكاذيب كبيرة فحسب وهذه الهوية التي تدعى (بالجنسية) لا تربطني بهذا العراق.

هذا العراق الذي أراد على مر الزمن أن يمسـحني من خريطة العالم ومن الوجود

وكل هؤلاء الضحايا من زهور النرجس يحملون هذه الجنسية.

ونحــن وجدنا عدداً من تلك الهويــات وفي كل مرة حينما آتي إلى الصحراء .. فعند العودة سأحمل معي من ورود النرجس هذه قدر المستطاع.

فالنرجــس هي الوصف الوحيد لرفاة ضحايانا غــير المدللين فهذه الزهور انتظرت سنيناً لترى وتشاهد ربيعاً من الحرية.

وإذا كان باستطاعتي ومقدوري أن أجمع كل زهور النرجس في هذه الدنيا وأزرعها بجانب الضحايا في الصحراء وأملأ الصحراء برائحة زهرة النرجس لفعلت.

مناطق جراحاتنا

عنـد تنقيبنـا عن رفـاة الضحايا قمنا بزيـارات جماعية لعدة مناطق. وسـأقف باختصار على هذه المناطق رغم تحدثي عنها مسبقاً.

هـذه المناطـق والأماكن هـي (مناطق جراحاتنـا) أماكن رفاة ضحايانـا وأحبائنا وأحبابنا.

مهمـا نتكلم عنهم فكلامنا نزر. ويجب أن نعلم أن المناطق التي زرناها ليسـت هي كل تلك المناطق التي تتواجد فيها رفاة الكرد.

والأماكن أكثر بكثير من تلك المناطق التي قمنا بزيارتها، فنحن زرنا (كربلاء مقبرة الحيدرية الجماعية، البصرة، العمارة، البوسية، السلمان، فجر، مقابر زاهر الجماعية).

كان تأريـخ أول زيـارة لنـا في ٢٠٠٣/٥/٢٧ عندما توجهنا إلى كربـلاء، مع جمعية حقوق/ الإنسان فرع كربلاء. زرنا المقابر الجماعية في الحيدرية منطقة (المزارع-الخط الثالث) فتكلم لنا أربعة شهود وهم:

١. كريم عطية حسن
٢. علي عبدالأمير
٣. عباس عاصي
٤. محمد عبدالواحد جوهر

وقد حصلنا على السـاعات وهويات الأحوال المدنية في مقبرة الحيدرية الجماعية التي يبلغ طولهـا حوالي ٦٠ متراً وعرضها ٢٠ مـتراً وفي حدود محافظة كربلاء يوجد أكثر من (٣٢) مقبرة جماعية حسب معلومات جمعية حقوق الإنسان هناك.. فهناك مقابر جماعية كثيرة تعود للكرد ولكن لم نستطع معرفتها.

وفي تأريـخ ٢٠٠٣/٥/٢٩ زرنـا مدينة البصرة آملين أن نذهـب من هناك إلى ناحية (الدير)، حيث قالوا إنها تحوي مقابر جمعية كثيرة تعود للكرد . لكن لظروف المنطقة

لم نستطع زيارتها.

بتأريـــخ ٢٠٠٣/٥/٣٠ زرنـــا المقابر الجماعية لضحايا ســـنة ١٩٩١ في البصرة ، فوجدنا البريطانيين قد أحاطوها بالأســلاك الشائكة كي لا يستطيع أحد البحث والتنقيب دون برنامج خاص. (بسام محسن علي) المسؤول العام لحقوق الإنسان في الجنوب تحدث عن وجــود عدة مقابر جماعية أخرى في المدينـــة. فمنها تقع تحت التماثيل ومنها تقع في الحيّ الصناعي وعند ذهابنا إلى تلك المقبرة القريبة من دور الإدارة. شاهدنا والدة إحدى الضحايا تبكي وتلطم الخدود وتســب الحكومة. وتشتم البريطانيين الذين لا يسمحون لها أن تأخذ رفاة وعظام ابنها.

في ٢٠٠٣/٦/١٠ زرنـــا قرية (ظاهر) التابعة لناحيـــة (الفجر) في محافظة الناصرية، هنـــاك زرنا مقبرة جماعية تبعد حوالي (٩٥)كم عن محافظة-كوت-وتبعد عن (فجر) نحـــو الناصرية بـ٣٥كم وتقع على يســار النهر الثالث. الذي كان يســـمى بنهر(القائد) مثل باقي كل الأشياء في هذا البلد سميّت بأسم البعث وصدام. هناك تحدث لنا المواطن العراقي (صائب حســـين الجادري) الذي كان عاملاً حينها في مشـــروع النهر الثالث سنة ١٩٨٨ حيــث قال: (كانت هناك خمس ســيارات أو باصات كبيرة تحمل الناس إلى مقابر المـــوت. العمال يتحدثون أثناء حفر نفق المشـــروع عن وجود رفاة ضحايا تعود للكرد.. لكن مهندس المشروع استدرك الموقف وغيّر مجرى النهر... وقام بإجلاء الرفاة والأشلاء وكان ذلك سنة ١٩٩٢).

اهالي قرية (ظاهر) التابعة لقبيلة(الرفيع) ورئيس عشــيرتهم (شيخ فارس) قال: إن ضحايا هذه المقبرة الجماعية التي هي عبارة عن عدة تلال مرتفعة كرد. قمنا نحن بالتنقيب عن الضحايا. وأغلبهم من شــباب الكـــرد الذين تتراوح أعمارهم بين ٢٠ ـ ٣٠ ســـنة. كانوا يرتدون الزي الكردي.. وقد وجدنا بين الرفاة عدداً من (الكلبجات) وهذا دليل على أن الضحايا كانوا تحت مراقبة شـــديدة وتعذيب متواصل... وقد هرب ستة اشـــخاص من المقابر الجماعية وهذه عبارة عن معجزة. وأحد هؤلاء الســـتة هو الشهيد (حمــه على) من قرية (عليان الجديدة) والذي استشـــهد بعد ذلك في المعارك الداخلية

بين الفصائل الكردية.

والثاني هو (عزيز) و (عمر) و (ابراهيم) واخيراً (مصطفى) وأعتقد أن هروب هؤلاء من المقابر الجماعية دفع الحكومة إلى اتخاذ إجراءات صارمة وحازمة مع المعتقلين .

في ٢٠٠٣/٦/١٦ توجهنا نحو (ناحية السلمان) وتحدثت كثيراً عن ذلك في هذا الكتاب. لذلك لا أجد ضرورة في التكرار ثانية.

في ٢٠٠٣/٧/١٧ زرت صديقاً لي في (العمارة) ومن ثم توجهنا إلى مقبرة جماعية تضم رفاة (٢٥٠) امرأة وطفلاً كردياً في مقبرة (شهداء ثورة مايس ١٩٤١). وهناك تحدث إلينا كل من:

١. كريم جبر كاظم

٢. سيد هاشم علكة جعفر

٣. ذنوبة احمد

حيث تحدث هؤلاء عن حوادث سـنة ١٩٨٨ في مركز شـرطة (العروبة)، حيث قاموا بجمع المعتقلين هناك ومن ثم أخذوهم إلى مناطق متفرقة لغرض الرمي والقتل. وقبل ذلك طلب أزلام النظام من سكان المنطقة من يرغب بالزواج من هؤلاء النساء الكرديات... لكن لم يكن أحد منهم مستعداً للزواج بهن هذا حسب أقوال أولئك الشهود.

في تأريـخ ٢٠٠٣/٧/٨ قمنا بزيارة السـماوة ثانية بصحبة الدكتور(محمد احسـان) وزرنا ناحية البوسية التي تبعد عن السماوة أكثر من ٤٠٠كم، ويبلغ عدد سكانها قرابة ٦٠٠ شـخص يقطنون حوالي ٦٠ داراً... وإذا تم تعدادهم مع (الرحالة) بلغ العدد الكلي تقريباً ٢٥٠٠ فرد.

لا تحيط بهذه الناحية من كل الجهات ولو شـارع واحد وأقرب شـارع تبلغ المسافة بينه وبين الناحية ١٠٠ كم تقريباً وليس فيها مركز شـرطة ولا (مدير ناحية) وهي بدون تيار كهربائي وهي تدعى ناحية (بالاسم فقط).

يبلغ عدد المقابر الجماعية فيها أكثر من عشر مقابر.

قال المواطن (صدام) في سـنة ١٩٨٨ حين كنت طفلاً شـاهدت خمسـة باصات صفراء تحمل

معتقلين كردا في المنطقة، وقالوا سـنأخذهم إلى الناصرية. وبعد أقل من سـاعة عادت السيارات فارغة، فالأهالي عرفوا أن هؤلاء تم رميهم وقتلهم.

هذا المشهد سرده الشاهد (صدام) الذي كان يكره اسمه كثيراً وهو يستحي من هذه التسمية اليوم. وأعتقد ان أولئك المعدومين كانوا من مدينة (حلبجة).

عـاد البعض منهـم إلى المدينة بعد هروبه منها خوفاً من ظلـم البعث وبعد عودتهم تم اعتقالهم لان العفو كان خدعة... هذا العفو لم ينجهم من الموت.

نهاية البداية الأولى

كانـــت هذه نهاية البدايـــة الأولى لرحلتنا المرّة والتي حاولنا فيها إيجاد رفاة وعظام أحبائنـــا... في الحقيقـــة هذه الرحلة علمتني أشـــياء كثيرة. مع حبي الشـــديد للعرب الشـــيعة. لأن الجميع كان ينظر إلينا بنظرة حب وود واحترام... وكانوا يدركون مدى مظلوميتنا.

مظلومون منذ قديم الأزمان يوم ألحقنا جبراً واكراهاً بهذا العراق سنة ١٩٢٦.

ألحقنا بهذا الوطن الذي لم يعطنا لحظة من الحرية ويجب أن لاننسى تلك الحقيقة أن في الشـــيعة أصواتـــاً وآراء مختلفة أيضاً. فأحد أولئـــك الأصدقاء كان يعتقد أن لفظة (كردســـتان) هي (بدعة) وهنا أشـــياء كثيرة متبقية لم اتحدث عنها في تلك الرحلات أشـــياء كثيرة أدهشتني وحيرتني مثل ماشاهدته في قضاء (حيّ) من أولئك الكرد الذين لا يجيـــدون كلمة واحدة من لغتهم الكردية. وكانوا يعشـــقون قومهم عشـــقاً صوفياً.. فهم كانوا يفتخرون بقوميتهم (الكردية) وكان يرغبون في أن يشـــاهدوا أنفســـهم على خريطة كردستان.

وشاهدنا أشياء كثيرة واخفينا أشياء كثرى.. حيث سنتطرق إليها في حينها.

مع ذلك كان هناك الكثير ممن يرغب في تعلم اللغة الكردية.

وكثير من أولئك طلبوا منا ارسال معلمين اليهم ليتعلموا هم وأطفالهم اللغة الكردية

.

فأنا لا أنسى أبداً صاحب ذلك الكشك في البصرة، حيث كان ذلك الكشك مصدر رزقه وعائلته وكان يســـميه (كاكا) ولا أنســـى ذلك الرجل صاحب المطعم الذي لا يجيد كلمة كردية واحدة ويقول: أنا (كوردي) ولا تلك العائلة الكردية التي كانت تلح بشدة ببقائنا عندهـــم كانت تلك أول مرة في التأريخ يعيش فيهـــا الكردي بحرية.. دون ترحيل او توقيف أو سجن أو اعتقال او قتل وأنفال.

وكان محــالاً أن يزور كــردي تلك المناطق دون مراقبة من جاســوس او أحد ازلام النظام.

ونحن عدا أولئك الكرد.. تعرفنا على عدد من العرب الأعزاء تعرفنا على أشــخاص قد لا ننساهم أبداً.

هذه أول رحلة كردية بحرية إلى جنوب العراق الذي تحكمه منذ اكثر من ٨٠ عاماً اقلية سنية صادرت كل الحريات وسيطرت على مرافق الحياة.

أنــا لا ادري كيف ســتكون الرحلة القادمة؟ ولا أدري موقع الكرد بالنســبة للعراق الجديد؟

ولكني قلق جداً لهذا الموضوع لأن الإنســان الكردي جريح ومظلوم على مر التأريخ . فلهؤلاء الحق بأن يعيشوا كباقي البشر..

فإذا كنا متفقين على أن هناك شيئاً إسمه (الحياة) فيجب أن تكون للجميع وبدون استثناء، حيث يكفينا ظلماً وجوراً وقمعاً.

ومــن هنــا يجب أن نوصل هــذه الحقائق إلى قومنا يجــب أن نوصل تلك الصور في ملحقات هذا الكتاب الذي يحمل معاناتنا. فهؤلاء الكرد عاشــوا عبر التأريخ في الانتظار ينتظرون الحرية. ينتظرون عودة الفراشات البرية ينتظرون التاج والكرسي والحظ.

رؤوس أقلام

عدا الأسماء التي ذكرتها. هناك أسماء لايمكن لنا تعديها.. فكل واحد من هؤلاء له علاقة من قريب أو من بعيد بالموضوع ..

وكل واحـد من هـؤلاء او بعضهم (اليوم أو بالمسـتقبل) يمكن أن يكون لـه دور بارز في محاكمة مجرمي الحرب او (الابادة الجماعية) ويجب أن لاننسـى دور كل من هؤلاء. سنكتبها للتأريخ من أمثال (ان كلود و ساندرا و بيترومياد) وآخرين التقينا بهم ولهم اهمية خاصة.

١ـ آن كلـود: الأنسـة آن كلود عضو برلمان بريطانيا ونائبـة رئيس وزراء بريطانيا لحقوق الإنسـان وقد أتت إلى كردسـتان رغم كل تلك المصاعب . والتقينا بها. إن هذه المراة تعطي اهتماماً خاصاً بالقضية الكردية وحقوق الإنسـان . وقد شـاهدتها تذرف الدموع لمصائب الكرد.

وكلما سـمعت اسـم (صدام) تتغير ملامح وجهها وتغضب كثيراً. و (آن كلود) هذه حملـت كوارثنا ومصائبنا إلى بلدان العالم خصوصاً أوصلت القضية إلى بريطانيا. وقد دافعت كثيراً عن الكرد. وقفت منجمدة حينما رأت ساعات الضحايا. وقد كانت تقول في نفسها (حقيقة ان هؤلاء القوم قلبهم من صخر ولا يعرفون معنى للخوف).

(هذه الكوارث والويلات التي تعرض لها الشـعب الكـردي لو مرت بها دولة غربية لذابت ومحت من الوجود) وفي جلسـة اسـتمرت لحظات طلبت منا أن نحفظ الوثائق ولا نعبـث بها. فقد كانت تعرف أن نهضتنا السياسـية هي نهضة تخريبية للأشـياء. لهذا السـبب طلبت منا ذلك. فإذا لم تكن كذلك ففـي أي مكان يصبح الجلاد مناضلاً والمناضل جلاداً. أو يصبح الظالم بطلاً على الضحية والضحية تصبح جلاداً فقاموسنا مليء بالدهشـة. فمثلاً ان المستشـارين من آمري الفرسـان (الجحوش) الذين كانوا في الصفـوف الأمامية لجيـوش أزلام النظام خصوصاً أثناء عمليـات الأنفال. صاروا اليوم مناضلين وثوريين.

وكذلك بعض من أشـــباه الكتاب الذين يجيدون شـــيئاً من الكتابة أصبحوا اليوم من مؤسســـي (الكوردايەتی) وهم الوحيدون ممن حملوا همــوم حلبجة والأنفال ونضالنا التأريخـــي. آن كلود قرأت هذا الواقـــع جيداً وتعرفت عليه، كانت تعلم جيداً لولم تكن تلك الرصاصات من قبـــل التحالف التي قتلت كلاً من (عدي وقصي) أولاد الدكتاتور.. فلو لم يقتلهم الحلفاء. فبعد عدة ســـنوات أخرى . ســـيصبحون عضواً في أحد الأحزاب العراقية الأخرى ويصبحون من أوائل المدافعين عن حقوق الإنسان .

علـــى الرغم من ملاحظتي عن بريطانيـــا وأمريكا والغرب. لأن مصائب قومنا هم أســـبابها . لكن مع ذلك أحببت هذه الآنســـة من الأعماق .. ولا أدري من أين نبعت هذه المحبة ؟

٢. بيتربيك هيرت: وهو من المعروفين في منظمة مراقبة (حقوق الإنسان) رجل لطيف وحلو الكلام... جلس معنا طويلاً وأرشدنا إلى كيفية المعاملة مع المقابر الجماعية.

وقد قال لنا: (لا يمكن انجاز مثل هذه التنقيبات دون وجود اخصائيين في هذا المجال) وقد كان منزعجاً كثيراً لتنقيباتنا العشوائية في المقابر الجماعية.

وكان يعتقد ان هذه العمليات العشوائية من الحفر هي تعذيب جديد للضحايا مرة أخرى.

وقـــد أعطانا معلومات على القبور الجماعية في بوســـنة ونصحنـــا بالصبر والهدوء خصوصـــاً عند رفع العظام والرفـــاة. مع ذلك كان متأكداً من ان أزلام النظام لم يتركوا مكانـــاً في العراق إلا وزرعـــوه بمقبرة جماعية. بحيث تتوقـــف أمامها كل التكنولوجيا وتنقيبات المقابر الجماعية وبيتر لخص كلامه في ثلاث نقاط:

١. البحـــث الدقيـــق والمتواصل في كل أنحـــاء العراق لإجاد جميـــع المقابر الجماعية المنتشرة في أنحاء العراق.

٢. دعوة الاخصائيين والفنيين في هذا المجال خصوصاً عند حمل الرفاة والعظام.

٣. جلـــب كل الأجهـــزة المتعلقة بذلـــك خصوصـــاً المتعلقة بكيفية البحـــث وإيجاد الضحية.

وقــد تحــدث لنا عن مقاصــد (هيومان رايتــس هووج) وهي ممثلــة في نقتطين رئيستين:

الأولى:- كيفية قتل الضحايا.

الثانية:- إيجاد ومعرفة أسماء الضحايا.

وقد تحدثنا مع الســيد بيتر في عدة مسائل، تحدثنا عن برنامج واسع في المحافظة علــى المقابــر الجماعية والتنقيب والمحافظــة عليها. تحدثنا عــن دور كل من أمريكا وبريطانيا في المســاعدة وجمع المعلومات. وقد كان (بيتر) متأثراً جداً بمصائبنا وآلامنا حاله حال (آن كلود) وتمنى عدم تكرار تلك الكوارث.

٣- عبدالرحيم فيلي: عبدالرحيــم عبدالكريم احمد من مواليد ١٩٥٠ خريج كلية العلوم السياسية سنة ١٩٧٢ رجل نشط ومتحرك.. كان مهموماً بمقابر الفيليين الجماعية وكان عضواً في عدة لجان خاصة بالكرد الفيليين وهو عضو فعال. حيث نظم الجماهير في مظاهرات لمعرفة مصير الكرد الفيليين كان مع عدد من أقرانه يحملون أكياســاً من الوثائق ضد النظام حول الكرد الفيليين ومصيرهم .

وقــد كان منزعجاً لوصــول أعداد من عناصر البعث الســابق في أحزاب جديدة إلى مراكز حساســة من تلك الأحزاب ، انها نفس حالة كردستان العراق سنة ١٩٩١ والأستاذ عبدالرحيم أبدى استعداده معنا أينما نذهب وكان لا يعرف معنى التعب والكلل.

وقد عرفني بمجموعة من الكرد الفيليين المعذبين في سجون النظام وكان من فقد كل أبناء عمومته وفيهم من لم ينج من عائلته أحد.. وفيهم من تمت مصادرة دارين مــن أملاكــه. في الحقيقة عانى الكرد الفيليون في بغداد كثــيراً من ظلم النظام البعثي وهنا لا نستطيع ان نوفيهم حقوقهم في عدة كلمات من هذا الكتاب.

الأكــراد الفيليون في العراق يقطنــون (بغداد، رصافة، بعقوبة، شــاربان، قزلبات، جلــولاء، خانقين، مندلي، نفطخانة، قزانيا، بدرة، جســان، كــوت، حي، علي الغربي) ومناطــق متفرقة أخرى تمت مصادرة أموالهم المنقولــة وغير المنقولة بتهمة التبعية الايرانية ... وقاموا بترحيلهم على وجبات إلى إيران وحسب احصائية لدي تم ترحيلهم

في سنوات ١٩٨٠ ـ ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ بالشكل الآتي:

التأريخ	عدد المرحلين
١٩٨٠/٧/٢٢	٤٠٨٨
١٩٨١/٣/٤	١٢٤٠
١٩٨٢/١/٢٩	٣٠٥٨
١٩٨٢/١/٣٠	٢٨٣٢
١٩٨٢/٣/٤	٨٠٨٤
١٩٨٢/٣/٧	٢٤٧٠
١٩٨٢/٦/٣	١٠٠

يقول السيد عبدالرحيم (تم ترحيل ١٨٣٤) عائلة من بغداد فقط أما في كل العراق فقد تم ترحيل (٨٥) ألف عائلة فيهم سبعة آلاف شاب تم اعتقالهم ثم سوقهم إلى سجون أبي غريب ونقرة السلمان. ومازال خمسة آلاف منهم مجهولي المصير إلى يومنا هذا وفي احصائية إيران سنة ١٩٨٢ بلغ عدد المرحلين الفيليين ٦٥ ألف شخص وتحدث لنا عبدالرحيم عن وجود ألفي دار تمت مصادرتها في بغداد تعود للكرد الفيليين وصودرت من قبل البعثيين ومازالوا يشغلونها. بالاضافة إلى المطاعم والدكاكين والمخازن ...ألخ

ويقول الأستاذ عبدالرحيم: (لولا سياسة البعث الرعناء تجاه الفيليين الكرد لكان أكثر من ٨٠٪ من اقتصاد بغداد اليوم بأيدي الفيليين).

وللأسف بعد مدة من الزمن تأكدت من أن هذا الرجل خرج عن جادة الصواب. وحمل طبيعة غريبة لا يمكن معالجتها.. انها طبيعة الإنسان الشرقي.

٤ـ ماد: إنه رجل طويل، ذو همة عالية يعمل في البحرية الأمريكية.. وكلامه يدل على انه كان قريباً من القصر. وقال لنا: (سأرسل هذه الصور إلى البيت الأبيض والرئيس بوش).

التقــط عــدة صور لضحايا المقابــر الجماعية في (ظبي) وكان ينزعج من مشــاهد ضحايا الأطفال لأنه كان يحب الأطفال كثيراً... وكان يكره صدام والبعث كثيراً.

قال لنا: أنا مســتعد لتقديم جميع المساعدات لكم، وأول مرة في حياتي أشاهد قوماً مظلوماً مثل الكرد. ولا أستطيع التحدث إلى القنوات الاعلامية بسبب مهمتي العسكرية. ولكن تأكدوا ســأنقل مظلوميتكم إلى كل أصدقائي وعائلتي وأحدثهم عن تلكم المجازر التي نفذها أكبر دكتاتور في العصر الحديث ضد الشعب الكردي المسكين.

وأنا متأكد عندما يعود (ماد) إلى بلاده سيحدثهم عن كل تلك المجازر والحقائق.

وأنــا متأكد أن (ماد) لا ينســى صورة تلــك العجوز التي كانت تحمــل في يدها حبوب علاجها في المقبرة الجماعية في (ظبي) وكانت مشدودة في كيس.

كان يقول (ماد): ما ذنب كل هؤلاء، يجب أن ينتقم الله لهؤلاء.

5. ثائــر لبيــب عزاوي: كان ثائر من بغداد ويحمل «ماجســتير في الاعلام حســب قولــه.... كان يعمــل في راديو وهو اعلامي نشــط. وكان يتمنى أن يكون معنا في زيارة كل المقابــر الجماعية في الجنوب. وكان دائماً يحاول الحصول على ســبق خبري . طول تواجدنا في بغداد كان يدلنا على مناطقها، وكان يستفيد من الأخطاء ليجذبك إليه.

تحدثنــا كثيراً عن تفاصيل حيــاة العراقيين مع ثائ. وكان يعتقد بأنه من الممكن التعايــش في ظــل دولة ديمقراطيــة فدرالية. على الرغم من عــدم معرفتنا بتأريخ الرجــل إلا أنــه كان يحب عمله كثيراً. ذهبنا مع ثائر إلى عــدة مقابر جماعية. وكان يرغب أن نســير وفق رأيه فقط. ونحن لم نرض بالعمل حســب هواه مما فرق بيننا. وتمنيــت له دوام العمل الصحفي ونحن اســتفدنا مــن كل أولئك الذين عملوا معنا في الجنوب والوســط في أيجــاد رفاة الضحايا الكرد وكان ثائــر واحد من هؤلاء. ووجدت ضرورة التحدث عن ثائر وآخرين منهم اسماعيل علي قادر وعدنان،حيث كانوا معنا ليلاً ونهاراً.

واســماعيل يقطن مدينة شــورش في جمجمال وقد قدّم لي عدة مســاعدات يمكن التطرق إليها في مرات قادمة .

وفاة دلير

(دلير علي) طالب في الصف السـادس الاعـدادي واحد أولئك الطلبة الذين يرغبون في خدمة المجمّع القسـري (شـورش) الذي كان عبارة عن جهنم ثانية لذوي المؤنفلين، وكان دلير في مقتبل عمره ويحمل أماني كثيرة، ولكن طلقة هاوية في مشـاجرة وقعت بين شخصين رمته في حفرة تدعى (قبر) وسأبقى نادماً لعدم حضوري مراسيم وفاته وأربعينيته كذلك. وذلك بسبب تواجدي في الجنوب أبحث عن رفاة ضحايا الكرد.

وكان دائماً ينظم لي مكتبتي مع عدد من أصدقائه. ساعدني كثيراً في إيصال شكاوي أطفال المؤنفلين إلى الجهات الرسـمية. وكان كادراً نشـطاً في مجلـة (پەح) التي تنتقد المسؤولين في القضاء.

ذهب مع عوائل المؤنفلين إلى بغداد بعد عدة أيام من سقوط النظام. وطلب في وسط العاصمة بغداد اعدام الطاغية صدام ونشـد نشـيد (ئەی رەقیب) وأصدر أول عدد من مجلـة ٤/١٤ والذي عوقب من أجلها. وكان يتحـدث بطلاقة في مجلة ٤/١٤ وكان صديقاً خاصاً بالنسـبة لي. وكان يزورني مع أصدقائه أغلب الليالي. وكنا نتحدث طوال الليل عن مشاكل المنطقة وهمومها.

وأثناء تواجدي في الجنـوب للتنقيب عن الضحايا فقدت اثنين من أعزائي أحدهما (دلير) والثاني (والدي) أما والدي فهو مثل باقي المظلومين من الكرد. حيث قضى جل حياتـه دفاعاً عن قوميته الكردية وهو رجل خـدم القضية الكردية كثيراً.. ولكن لم تخدمه القضية يوماً ما.

وكان أمـل دلير هو فتح مركز للأنترنيت في المنطقة لخدمة شـباب ذوي المؤنفلين وبعد وفاة كل عزيز لا أجد سوى الدموع. وأرتاح كثيراً عند سكب تلك الدموع.. وكلما أردت الابتعاد عن الهموم. بكيت بغزارة. ولم أسـتح يوماً من أولئك الذين يشـاهدون دموع عيني.

الفهرست

تمهيد	٧
لجنة الجنوب للبحث عن المقابر الجماعية للضحايا الكرد	٨
البحث عن الاحبة	١١
الجنوب مناطق مدمرة	١٥
كوارث الكرد والشيعة	١٨
الجنوبيون ذوو العيون السود شاركونا الهموم	٢١
البكاء على الرفاة	٢٥
عدد من الساعات في مقابر الحيدرية	٢٧
البسة الكرد المتلوفة	٢٩
حزام البيشمركة	٣١
الصور المتبقية مع الشهداء	٣٤
السماوة صحف وتلفزيون الناس هنا	٣٧
سراويل اهالي السماوة كردية	٤٠
عشيرة آل زياد	٤١
العائلة الثانية لتيمور عبدالله	٤٣
عائلة تيمور واقرباؤه	٤٦
قصة تيمور	٤٩
الصحراء تبلع الجميع	٥٢
الوجه الآخر للصحراء	٥٥
قلعة السلمان قلعة موت الكرد	٥٧

من السلمان الى المقابر الجماعية	٦١
على جدران قلعة السلمان	٦٤
كلاب الصحراء السوداء	٦٧
ثورة الرمال	٦٩
العويليون	٧١
الصحراء مزرعة زهور النرجس	٧٢
مناطق جراحاتنا	٧٤
نهاية البداية الاولى	٧٨
رؤوس اقلام	٨٠
وفاة دلير	٨٥



من مطبوعات دار سردم للطباعة و النشر

الغلاف: قادر ميرخان